الروز

رواية

الكتاب: الروز

الكاتب: حسام خوام آل يحيى

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ /٢٠١٦م

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

القياس: ١٤×٢١ سم

عدد الصفحات: ٢٣٦ صفحة

© جميع الحقوق محفوظة

الناشر: دار ميزوبوتاميا

للصحافة والنشر والتوزيع

بغداد – شارع المتنبي

هاتف: 07707960771

E - Mail: mazin24@ymail. com

mazin774@gmail.com

Copy Right © Misopotamia Publishing

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه

إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر

All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted.
without permission in writing from the publisher

حسام خوام آل يحيى

الروز

روايـــة

2016

تبقى روايــة وإن بحثت مـا كـان. الأسماء والشخوص، وإن تطابق منها مع الواقع؛ فذلك لا يعدو غير صدفة غير مقصودة. لذا نوهت.

حسام خوام آل يحيى

إلى إصراري...

﴿وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مّنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾

الأعراف ٩٦- ٩٩

١

حدث ذلك شتاء عام ١٩٥٨...

بعض الذين حجزوا لأنفسهم مقاعد في سيارة الجيب المملوكة لملا منيف ظنوا أن برد الفجر وصقيعه هو ما أخر محرك سيارته عن الدوران.

تاجر الحبوب جميل جبارة، والذي حجز لنفسه مقعد المقدمة في السيارة تجنباً للانحشار في المقاعد الخلفية الثلاثة غير المريحة، ظن ذلك حين لم يسمع صوت محرك الجيب يهدر في فناء دار جاره بعد آذان الفجر بدقائق معدودة، يقدرها الرجل مهلة محددة لزبائنه لأداء الصلاة.

كان جميل قد صحا من نومه متأخراً يرتجف من شدة البرد في فراشه الرث الذي طالما تذمر منه - دون جدوى - لدى زوجته البخيلة موزر رغبة منه لأن تستبدله بأخر جديد من منضدة فرشها العامرة.

خرج من مضيف الطين الصغير الذي يتقدم داره وينام به منفرداً

عن عياله يتلمس طريقه وسط العتمة على ضوء فانوس نفطي، فسمع العجوز حران مؤذن جامع القرية القريب من داره، يتلو آذان الفجر بصوته القوي بعد أن ارتقى سطع الجامع الطيني على سلم الخشب كالمعتاد.

فتح باب حجرة عياله ومد رأسه داخلها ليوقظ زوجته موزر من النوم لتعد له الشاي وتحلب الأبقار ليشرب كوب حليب ساخن قبل أن يذهب للسوق، فوجدها جالسة تعد النقود، التي ستعطيها كمصروف له لدفع أجرة الجيب، على ضوء فانوس الغرفة ذي الزجاجة المكسورة.

فعلى الرغم أن جميل هو زوج لموزر وشريك لها في المال والتجارة فأنها لا تثق به وتحسب كل قرش تسلمه إليه أو تقبضه منه؛ لتاريخه سيء الصيت، المتضمخ بسرقات الماضي التي يلاحقه عارها حتى بعد أن جنا ثروة جعلت منه رجل محدث نعمة في القرية.

خرج من عندها بعد أن شتمها - همساً - بلسانه البذيء، وحمل بيده أبريق الماء النحاسي الموضوع خارج حجرة نوم عياله جوار سور بيته الطيني وتوجه لبستان الرمان خلف داره ليقضي حاجته ويتهيأ للصلاة.

في هذه الأثناء أنهى حران المؤذن تلاوة الآذان ونزل من سطح الجامع ليؤم من حضر من أهل القرية إلى جامع القرية للصلاة.

حاول جميل جبارة الاستنجاء بالماء فوجده قد تجمد عن أخره في الإبريق.

أدار رأسه - من مكانه حيث جلس للخلاء - نحو بيت جاره ملا منيف الذي يتقدم داره وبستانه، على ضفة نهر الروز، فلم يسمع صوت محرك الجيب الديزل الذي يشبهه بصوت جرار زراعي منزوع أنبوب العادم حين يمازح جاره متندراً على سيارته المتهالكة، فأدرك أن هناك خطب ما.

يعلم جميل بحكم الجيرة، ومقاربة العمر مع جاره ملا منيف أن العجوز الحاذق في عمله يحرص على تدوير محرك سيارته الديزل لتسخينه قبل موعد الانطلاق لرحلة الجمعة نحو سوق بلدروز حماية له من التلف.

تمتم جميل مع نفسه - وجلاً - قبل أن ينهض من مكانه:

«لن يدور محرك الجيب هذا اليوم وسوف أتأخر عن موعد تاجر بغداد»

عمران صاحب الدكان الوحيد في قرية إمام عسكر، وهو زوج حسنة بنت ملا منيف - الوحيدة - وجاره الحائط على الحائط، تنبه لتأخر عمه ملا منيف عن موعد الرحلة المعتاد ساعة خرج من حجرة نومه ولم يشاهد لهب موقد النار في فناء دار ملا منيف. فعمران يعلم أن عمه يحرص على غلي قدر ماء على الموقد يصبه على راديتير الجيب قبل تدوير محركها في مثل هذه الأجواء منعاً لتكاسل محركها من الدوران.

كان عمران قد بكر في النهوض من نومه قبل الجميع، فخرج من حجرة الطين الوحيدة التي بناها جوار دار عمه، بعد أن تلفع بمعطفه

الذي يشبهه أهل القرية بالبطانية حتى في مربعاته السوداء المنقوشة عليه، تاركاً زوجته حسنة تغط في نوم عميق.

توجه متثائباً وهو ينفض النوم عن عينيه الواسعتين، لزريبة بهائمه المنزوية خلف داره، حاملاً بيده سطل بلاستيكي ليحلب أبقاره ويعلفها مبكراً قبل أن يذهب مع ملا منيف بسيارته الجيب للتسوق لدكانه من السوق.

فعلاوة على امتلاكه لعدد من الأبقار، يسترزق عمران من دكان الطين الصغير المتوسط بموقعه للقرية الصغيرة، على الضفة الغربية لنهر الروز.

إذ أن عمران - ودوناً عن رجال القرية كلها - هو من يقوم بواجب حلب أبقاره وعلفها وغير ذلك من ملئ جوابيها بالماء لأنه يخشى من لسان زوجته السليط وطردها المتكرر له خارج الدار.

حلب أبقاره وعلفها بالتبن وجريش الشعير وعاد أدراجه لفناء بيته الصغير حاملاً بيده سطل الحليب، فلم يشم رائحة الدخان من موقد بيت عمه تحت شجرة الأثل العملاقة وسط فناء الدار.

فكر عمران برهة أن لذة النوم ودفء الفراش ربما هو من جعل من عمه الرجل الدقيق يتأخر عن موعد النهوض. لكنه عاد واستدرك بأن منبه ساعة يد ملا منيف ذات الزنبرك لتنشيط دورانها، والتي يلبسها في يده اليمين جهلا منه لمكانها الصحيح لم يخذل الرجل من قبل عن أي موعد أدار عقارب ساعته عليه.

فكر حينها أن عليه أن يوقظ عمه من النوم الذي غلبه - كما ظن بذلك - قبل أن يشعل موقد الحطب لغلي الحليب وصنع الشاي لنفسه كما تعود على ذلك، فعبر السور الطيني الواطئ بين البيتين قافزاً من فوقه اختصاراً للوقت والعناء، ليطرق الباب.

ستروي حسنة - بعد ذلك - إنها يوم سمعت طرق زوجها العنيف على باب حجرة والدها وصياحه العالي، جعلها تظن - للوهلة الأولى - أن أبيها وزوجته الجديدة نواره كانا يغطان في نوم عميق.

لكنها يوم أستمر القرع على الباب بلا هوادة، وأتبعه زوجها عمران بالمناداة من خلف الباب بصخب أخذ القلق ينتابها على والدها العجوز، فرفعت رأسها عن الوسادة ونهضت واقفة - في وجل - من الفراش.

خرجت من باب الحجرة فسمعت زوجها ينادي على والدها وزوجته دون أن تراه؛ فرغم جوار البيتين فأن بيت أبيها يتقدم بيتها الصغير في موقعه بضعة أمتار للأمام. لكنها لم تدم الترقب لذاك الطرق العنيف وانشغلت عنه يوم رأت سيارة الجيب الخضراء جاثمة مكانها في مرأب الطين قرب باب دار أبيها.

خوفها الذي تزايد يوم رأت السيارة في مكانها لم تتحرك، تبدد بعد برهة يوم سمعت صوت مزلاج باب الحجرة وهو ينفتح، لكن ضوء الفجر الفضي الذي أنار العتمة وأخذ يزيحها عن قرية إمام عسكر هو ما جعلها تقلق من جديد. فهي تعلم جيداً أن أبيها بعد أن أشترى سيارته الجيب حين تقاعد من وظيفته منذ سنوات طويلة، لم يحدث أن

تأخر عن رحلة الجمعة الوحيدة في الأسبوع نحو سوق البلدة حتى هذا الوقت من قبل.

ستحكي عن ذلك حسنة – فيما بعد – وتقسم لنسوة القرية إنها يوم صحت من نومها وشاهدت مؤخرة الجيب في مرأب الطين عرفت إن والدها قد أصيب بمكروه ما. لكنها ستلوم نفسها أمام الناس أنها لم تتقدم نحو السور الطيني الواطئ بين البيتين حينها، لترى ما حل بأبيها عند شجرة الأثل العملاقة، وانشغلت عنه بالسيارة الجاثمة في مكانها أول الأمر.

وهي حين تروي تلك التفاصيل لن تنسى أن تسوق مختلف التهم والأقاويل لنواره زوجة أبيها، التي تزوجها من بعد وفاة أمها سنية، والتي ماتت قبل أشهر قليلة، مدعية أنها هي من دبرت ما حدث له ذلك اليوم.

فحسنة تكره نواره ولا تحب لها طرف ولا سيرة، رغم أنهما كانتا صديقتين مقربتين من بعضهما زمن طويل قبل أن تتزوج من أبيها قبل عشرة أيام. كرهها لها هو ما جعل من العرس المقتضب أقرب ما يكون لعزاء أظلم لم ينقصه حينها سوى النواح والعويل.

حسنة ستروي ذلك وستستشهد بالخرزة الزرقاء التي عثرت عليها في فراش أبيها يوم قلبت – بكيدها المشهورة فيه – زواجه من نواره لعزاء، دليلاً على علاقتها بما حصل لأبيها ذلك اليوم.

نواره كانت قد صحت من نومها على صوت طرق عمران على الباب

فرفعت رأسها عن الوسادة وسط عتمة الحجرة فلم تجد زوجها بقربها على السرير الحديد.

هبت واقفة من فراشها لتسعف طلب عمران بفتح الباب فتنبهت لأمر مريب حين وجدت أن مزلاج الباب مقفل من الخارج، وتأكدت أن ملا منيف كان قد غادر الحجرة لمكان ما. تساءلت مع نفسها مذعورة:

«لماذا أغلق ملا منيف مزلاج الباب من الخارج بعد خروجه من الحجرة؟»

وهي تلوك وساوس أفكار مختلطة بقلق تلبسها على زوجها جعلها تقف مكانها متحيرة - برهة من الزمن - قرب الباب دون أن تفتحه، بينما كانت يد عمران الغليظة توشك أن تقتلعه من مكانه؛ خلال ذلك الطرق العنيف.

نبهت عمران بصوت خافت يتأرجح بين نوم جاثم وصحوة مبتورة أن الباب موصدة من الخارج بالمزلاج لأجل أن يفتحه من عنده فأدار عمران المزلاج بعنف دون أن يدرك سبب إغلاقه من الخارج.

بينما كان عمران منشغل يسألها عن سبب تأخر عمه ملا منيف عن موعد الرحلة حتى هذا الوقت، وعدم تحرك الجيب من مرأب الطين عوى كلب ملا منيف الأسود الشرس من خلفه عواء شجي فالتفت إليه.

قطع عمران حديثة - إذاك - معها وتحرك راكضاً نحو مكان ما؛ ميزت نواره وقع خطواته الثقيلة على أرض فناء الدار الترابية من مكانها حيث كانت تقف وراء الباب.

ففتحت نواره فرضة الباب مرتبكة - تلفها الحيرة - حتى إنها نسيت أن تضع شالها على رأسها لتستر شعرها المكشوف.

ظنت نواره لوهلة أن زوجها كان قد غادر البيت دون أن يوقظها من النوم يوم صحت ولم تجده بقربها على الفراش، لكنها يوم لمحت السيارة في مكانها، أسرعت بالخروج لتتفقد زوجها، فتنبهت - بعد خطوات قليلة خطتها خارج الحجرة - إلى أنها خرجت حاسرة الرأس بلا حجاب.

عادت أدراجها لتلبس شالها الأسود المزركش بخيوط فضية علقته قبل أن تنام على الشماعة الحديد في ركن الحجرة الغربي خلف السرير؛ فلم تجده في مكانه. فسمعت - إذاك - عمران يصرخ مفزوعاً بصوت عالي مختلط بالنحيب:

«نواره تعالي بسرعة؟»

التفتت في الحجرة فلم تجد سوى كوفية زوجها الوحيدة التي لا يمتلك غيرها ملقاة على أرض الحجرة فوضعتها على رأسها ساترة بها نفسها وخرجت من باب الحجرة مهرولة نحو عمران.

ستحكي نواره - في غمرة الحزن - أنها لو نهضت من فراشها يوم سمعت جلبة سقوط البرميل ربما لكانت قد تنبهت لما جرى لزوجها في الخارج. لكنها حتى وإن نهضت من مكانها في تلك الوهلة لن يكون باستطاعتها أن تفعل شيئاً لملا منيف بعد أن أغلق الباب عليها من الخارج بالمزلاج.

نواره قبل أن تلوم نفسها على أي تقصير ستكتشف - متأخرة - أن ما حدث لزوجها سببه السر الذي أطلعها عليه بالأمس، ولم يبح به من قبل لأحد غيرها من عياله أو أهل القرية على حد سواء.

في هذه الأثناء كانت حنونة البدوية جالسة تتدفأ قرب موقد الجمر في دارها المتاخمة لمرقد الولي الصالح الإمام عسكر «عليه السلام» عند أخر القرية تترقب وصول سيارة الجيب قبالة باب الدار.

في لحظة تجلي تناهى للعجوز البدوية هاجس غريب وصل إليها من دار ملا منيف البعيدة عنها كشف لها أمراً ما، أدمى فؤادها وجعلها تغمض عينيها برهة في سكون. لكنها لم تستجب لهاجسها ذاك وراحت تكمل حزم بضاعتها التي كانت ستبيعها في السوق.

سميرة بنت حنونة البدوية يوم رأت أمها وقد تعكر مزاجها بعد أن أوحي لها ما ألهمت به، عرفت أن هناك أمر حدث دون أن تستفسر منها بأي حديث.

سميرة كانت متيقنة أن أمها تجلت ما حدث لملا منيف رغم تكتمها وتمثيلها الانشغال بحزم أمتعتها لرحلة السوق، لكنها لم تجرؤ على مناقشة أمها فيما تنبأت به كعادتها، لتحذير أمها وزجرها الشديد لها من التدخل بتنبؤات أمها للأحداث.

فحنونة البدوية عرافة تقرأ طالع الناس بالودع ببراعة - تقارب الإعجاز - يشهد بها الجميع، هذا علاوة على أنها قابلة وطبيبة ماهرة تداوي الناس بالكي والأعشاب، ولا يعصى على مهارتها هذه أي مرض

بعد أن حلت بأرض القرية منذ زمن بعيد.

كانت العجوز البدوية قد حجزت لها ولبنتها العانس سميرة المقعدين المتبقيين في السيارة لرحلة السوق لتتزود من هناك بما تحتاجه من مؤن لعملها من دكاكين العطارة في السوق، بعد أن تبيع ما جنته خلال أسبوع مضى من هدايا نسوة القرية لها من حبوب ودجاج وبط وغيرها لقاء علاجهن من عللهن وقراءة الطالع لهن بالودع.

علاوة على ما تحصل عليه منهن من مال وفير مقابل عملها لتعاويذ سحر لهن - بشرط تكتمهن عليها - لتزويج العوانس منهن ومنع أزواجهن من الزواج عليهن بأخريات.

ما أن اقتربت حنونة البدوية من سور بيت ملا منيف، وسمعت صوت الجلبة والصراخ داخل الدار حتى توقفت متسمرة في مكانها مثل وتد دقه أحدهم هناك.

رفعت رأسها عالياً نحو السماء ومدت كفها في جيبها بعد أن أزاحت عباءتها جانباً بكوعها فأخرجت أحجارها الملونة التي تحفظها في صرة بيضاء ولا تفارقها أين ما تذهب طوال الوقت.

جلست على إليتها في قارعة الطريق وأخرجت الأحجار من صرتها فرمت بها على الأرض - بعد أن خضتها في كفها - وتمتمت بضع عبارات تحرص على تلاوتها يوم تضرب أحجارها للناس. تلك العبارات التي يحفظها أطفال القرية عن ظهر قلب حين يلعبون بالحصى مقلدين إياها في ما تفعل وتقول.

أدارت رأسها نحو بيت ملا منيف بعد أن تمثلت أحجارها المنتثرة على تراب الجادة، وسمعت صوت عواء الكلب داخل سور الدار، فقالت في ثقة:

«لا حول ولا قوة إلا بالله هذا ما رأيته في المنام بالأمس»

حينذاك كانتا نواره وحسنة قد وصلتا - في الوقت نفسه - لعمران المتشبث بنعلي عمه ملا منيف وهو ينحب بصوته الغليظ كتيس ضربه أحدهم على خصيتيه.

لكن نواره وقفت مكتفية بالصمت برهة دوناً عن حسنة زوجة عمران التي تعالى صراخها كمن لدغها ثعبان، ولطمها على وجهها غير المنقطع بتواتر.

ربما إن نواره لم تدرك ما حصل لزوجها بعد، أو لأنها كانت منشغلة بحبل القنب المتين الذي تفحصته بيدها وخافت منه بالأمس، حين باح لها زوجها بذاك السر الدفين، فوقفت لبرهة كالبلهاء من غير صراخ.

غير إنها عادت - لما أدركت الحالة - فعوت طويلاً بصوتها المبحوح مثل كلب زوجها الأسود الذي ملأ عوائه المكان.

كما إن جميل جبارة هو الأخر قد وصل من داره ليتبين سبب تأخر ملا منيف عن موعده فشاهد حنونة - حين تجاوزها مسرعاً بعد أن سمع الصراخ - ترمي أحجارها على الأرض حيث كانت تجلس جوار السور في قارعة الطريق.

سيروي ذلك جميل لأهل القرية متهماً العجوز حنونة البدوية التي

يمقتها كثيراً، ويكنيها بالمشعوذة إنها هي من دبرت ذلك - بطريقة ما يجهلها لكنه متيقن منها - لملا منيف.

وبالطبع هو سيأتي على ذكر حادثة قيام نومان الشرطي بالتهجم على حنونة البدوية وضربه لها قبل عدة أعوام فعثر عليه منتحراً بالطبنجة الميري في مخفر شرطة القرية في نفس اليوم.

لكنه بالتأكيد سيخفي السبب الحقيقي وراء كرهه لها وهو قيامها بعمل سحر لحساب زوجته موزر جعل من أهل ريمة التي أراد أن يتزوجها كزوجة ثانية يرفضون تزويجها له قبل عدة أعوام.

لكنه حين هجم عليه هاجس القلق المفرط من فوات تجارته وموعده المهم، نسي كرهه لحنونة البدوية وأنساق وراء البحث عن بديل يوصله للسوق قبل أن يبت في أي حديث.

دخل جميل باب الدار الحديد المشرعة فلمح الرجل من بعيد متدلياً من شجرة الأثل وسط فناء الدار.

ما حدث لملا منيف بالضبط، وما وجده عليه الناس فجر ذلك اليوم، أنه أقدم على شنق نفسه بواسطة حبل قنب غليظ لفه حول عنقه، وعلقه في غصن شجرة الأثل المتوسطة لفناء الدار.

شاهدت نواره شالها الذي لم تجد معلقاً في مكانه على الشماعة الحديد وقد كبل به زوجها كفيه - بطريقة ما - ليمنع نفسه النكوص عما نواه.

جميل جبارة ميز البرميل القديم الذي أشتراه ملا منيف قبل أسبوع

من السوق، والذي أرتقاه العجوز واستعان به على لف عقدة الحبل حول عنقه الذي استطال - بشكل غريب - بعد الانتحار.

فصفق بكفيه بعد أن أسترجع في حسرة وقال:

«استغفر اللّه لقد شنق ملا منيف نفسه يا ناس»

٢

تتناثر البيوت الطينية - بعبثية رعناء - على شكل قرى صغيرة مبعثرة على جانبي نهر الروز ترافقه من أول منبعه عند بلدة شهربان شمالاً، وتتلوى مع انحناءاته الكثيرة على امتداد مجراه الطويل وصولاً لمثواه الأخير حيث يلفظ آخر أنفاسه أقصى جنوب بلدة بلدروز.

بيوتاً طينية صغيرة تبدو مثل أكوام تراب نتأت عن الأرض على ضفتي النهر الهادئ بمائه النمير، تتوارى عن الأنظار بين غابات النخيل وبساتين الحمضيات، لا ترى أسوارها الطينية غير المنتظمة؛ إلا بعد أن تقطع شوطاً طويلاً من عناء البحث عنها بين تلك الأجمات.

ومن هذا النهر شق الناس بمساحيهم أنهار صغيرة تتفرع عنه - على ضفتيه الشرقية والغربية - نحو مزارعهم البعيدة، فوسمت قراهم تلك بما اختاروه لتلك الأنهر الفرعية من مسميات.

هذه المسميات طفحت للوجود من ثرثرة أهازيج رجال حفروها تسلوا بها لتنسيهم مشقة الحفر اليدوي لها في الأرض الصلبة العصية على

مساحيهم ومعاولهم وأجسادهم المنهكة بالمرض والجوع.

فسبتة وآغجا وصبيخي والعالي والبتار، أسماء لأنهر فرعية حفرها الفلاحون بمشقة كبيرة فوسمت - مع مرور الوقت - قراهم الناشة حولها بأسماء اختاروها لها من تلك الأهازيج.

كل القرى، وإن تقاربت الجوار من نهر الروز الحنون، لم تأخذ أي منها تسميتها منه لسبب لا يعلمه سوى الله الذي أجراه في هذه الأرض منذ الآلاف السنين.

فجرت الأنهار الفرعية حاملة معها الخير من النهر - لمن حفروها ومن جاء من بعدهم - مثل شرايين كثيرة لم ينكص النهر يوماً ما عن عهده بكفايتها كلها من خيره الوفير دون نقص أو تقتير.

قرية من بين القرى لم تأخذ أسمها لا من نهر الروز ولا من غيره مرتضية لنفسها التسمي بمرقد ولي طاهر دفن في أرضها منذ ما يقارب الألف عام: هو مرقد الإمام عسكر الذي يعود نسبه للأمام موسى أبن جعفر «عليهم السلام «

حرص أهلها على عدم الابتعاد عنه، وإن شقوا نهراً فرعي - كجيرانهم القاطنين لحوض الروز - سموه الندافية يروي مزارعهم غرب القرية غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم الابتعاد عن المرقد الشريف بمساكنهم متبركين به وبالاسم الذي أختاره أجدادهم الأولين لقريتهم تيمناً بالولي الصالح المدفون في أرضها.

فبقيت البيوت الطينية لأهلها قيد جواره لا تفارق قبته الخضراء

الصغيرة أملاً في بركته وأمانه تاركين نهر الندافية يجري الماء لمزارعهم البعيدة دون أن يسم قريتهم بما سموه عليه.

هذه القرى وغيرها من قرى العراق، تؤمن أن موت الناس أمر لا يعدوا أن يكون نهاية حتمية لكل حي في نهاية المطاف.

مهما طال العمر أو قصر لابد أن يأتي يوم تفارق الأرواح أجساداً كانت تسكنها لأجل معلوم.

بشر كان أم حيوان أم شجر لابد أن يأتي الموت لينهي الحياة القصيرة - وإن طال أمدها - مقارنة بعمر هذا الكون الموغل في القدم ولا يدوم سوى وجه الكريم - مالك كل شيء - بعد المآب.

هذا أمر متفق لا خلاف عليه، لكن أهل قرية إمام عسكر دوناً عن غيرهم من سكان قرى نهر الروز، وحين يحل الموت قريباً منهم، سيتساءلون أسئلة تبدو لغيرهم أنها مختلطة بأوهام وخرافات.

«هل سيجر الميت غيره؟ »

هذا التساؤل بالذات سيطغى على وجوه جميع من في القرية وجلاً من الموت وبطشه القريب منهم، حتى إن ذوي الميت أنفسهم المنكوبين بمن مات لهم لن ينسيهم فقد الأحبة هاجسهم ذاك.

للموت هيبة ورهبة عند الجميع وهذا أمر مسلم به بما لا ينكره أي إنسان، وإن أدعى أحدهم الإيمان به كقدر حتمي مبشر به كل الأحياء.

هي فطرة فطر الله عليه خلقه. حتى أن الأنبياء - ومن بمنزلتهم من الأتقياء - خافوا من الموت كما تروي الروايات.

يعرف أهل قرية إمام عسكر - دون غيرهم لسبب لا يعلمه سوى الله - إن عزرائيل الملاك حين يأتي بخيمة الموت لقريتهم ليلقيها على بيت من بيوتها قد يلمها بعد إتمام عمله، ليعود وينشرها على آخر في الجوار ليقطف روحه قبل أن ينفض من هناك. وهم يعلمون إنه - في باب ضربه المزدوج بالموت - قد يترك مساحة زمنية قصيرة بين الآجلين لا تتجاوز أيام مجلس العزاء. حتى أنهم يعلمون أن المصائب - من غير جنس الموت - تأتي تابعة للموت حين يحل في القرية لا سيما أيام مجلس العزاء.

لذا فأهل القرية من جنس هؤلاء - وإن كانوا يتشبثون بطيف إيمانهم المزعوم بالموت - سيحرصون على دفع شبحه عن بيوتهم بطقوس معروفة من قبل الجميع، يفعلونها دون تلكؤ أو نقصان، علها تدفع عنهم ما كان.

يدفنون الميت في الجبانة ويحرصون على عدم التلفت من خلفهم بعد دفنه حين يغادرون؛ إذ يقال أن الميت سيرشح للملائكة القابضين عليه للحساب ذاك المتلفت ناحية القبر ليكون هو التالي من بعده، لا سيما إن كان عزيزاً عليه، طمعاً في التقرب منه بعد الممات.

لذا فأن أهل القرى يذبحون ذبيحة - الونيسة - للموتى في الليلة الأولى للجنازة لكي يقنعوا عزرائيل الملاك أنهم كرماء كفاية معه ليرفع عنهم عباءة الموت ويأخذها لأماكن أخرى غير قريتهم.

الملائكة صفوة الخلق ينفذون أوامر الله وهم مشغولون بطاعته عمن سواه. مخلصون لا يقبلون الرشوة من أي مخلوق كان.

لكن أهل القرية الغارقون بجهلهم المخيم على عقولهم وبساطتهم المتأصلة في طباعهم - حد البلادة حتى في فهم العبادات - قد يتصادف أن تتقبل منهم تلك النذور المقترنة بنياتهم الحسنة وحياة الفطرة التي يعيشونها غير المشوبة بالآثام، فتثبت - حينذاك- طقوساً متواترة بين الناس.

ينحرون الخرفان والجديان لوجه الله أن تستأخر آجالهم، ويسمونها طعام للميت في ليلته الأولى حين يمسي وحيداً في قبره بلا والي يعينه على وحشة العذاب. هم يقدمونها رغم معرفتهم أن الميت في قبره لن يأكل أي متاع. سينشغل عن الدنيا كلها بالحساب.

تعجن أحداهن التمر بالدقيق وتخلطه بدهن الحر لتصنع حلاوة، وتتلوا أدعية مع نفسها بأن يخطف الموت غيرها وزوجها وأهلها من أهل القرية وتزعم أنها حلاوة تقدمها للدود.

يسمونها حلاوة الدود كذباً وهم يعلمون أن الدود لن يكترث للتمر ولا الدقيق بينما هناك جثة عامرة باللحم والشحم ملقاة بالقرب منه في القبر لا يكلفه الظفر بها سوى ولوج الأكفان.

يخفون أنها رشوة للملاك في أن يبتعد عنهم ولا يبطش بهم أو بأحد من أقربائهم يوم ينزل الموت بغيرهم في الجوار.

ديك يذبحه أهل الميت كل مساء خميس لسبعة أسابيع متتالية يدعون إنه طعام للميت في قبره. يوزعون ثيابه وحاجياته الخاصة على الفقراء. كلها ليتوددوا للميت في قبره ليرحل سريعاً نحو برزخه ولا يطلب من ربه

طلبات تعجل بموتهم حين تجاب.

قد يسميها البعض منهم تقاليد وينزعون عليها صفة الخرافات لكنهم - وإن أدعوا عدم إيمانهم بها - سيحرصون على إتمامها دون نقص ولا يشغلهم عنها أي شأن أو حزن.

تساؤلهم «هل سيجر الميت غيره؟» سيكون بمثابة كارثة تؤرق مضاجعهم في الليلة الأولى - لدفن موتاهم - بشكل مريب.

يغفوا أحدهم برهة ثم يفز صارخاً يتمتم كلمات تحمل كلها معنى رفضه للموت، رغم إنه أحد أولائك الزاعمين بالإيمان به كنهاية حتمية للأحياء في نهاية المطاف. فخيمة عزاء أحدهم المنصوبة في الجوار تكفي وحدها لأن تكون مدعاة للترقب والحذر من المحتوم قبل أن تكون مجرد خيمة ملونة من أعمدة وقماش.

فبالتجربة لمس أهل قرية إمام عسكر - على نحو غريب - أن الموت قد يحمل بين طياته لهم موتاً إضافي آخر بين ثناياه. لذا فهم يؤجلون أعمالهم الخطرة طيلة فترة مجلس العزاء ولا يغامرون!

حامل السلاح يؤمنه ألف مرة بعد أن يقتل ذئباً أكل نعاجه خلال مجلس عزاء الميت الذي مات.

مريضهم البخيل يبيع من بهائمه أخيرها ويعقد العزم - بعد أن يحل لجام جيبه - لقطع مسافة طويلة نحو العاصمة للعلاج.

إذ يقال أن الميت يطلب من الملائكة القابضين على روحه أن يسألوا له ربهم مهلة سبعة أيام يقضيها - طيف روح - ليعود لبيته وأهله ليتفقدهم

وأحياناً قد يجاب!

حينها لن يفلح العلاج في مداواة صحيح رأى ميت دفنه في قبره وقد عاد إليه بهيئته التي دفن بها يمشي على قدميه فاتحاً ذراعيه للقبل والعناق. أمر صعب بحاجة لشجاعة استثنائية يوم ترى ميتاً دفنته في القبر يتجلى أمامك واقفاً على قدميه يطلبك للقبل والعناق!

يعرف أهل القرى أن الميتين طماعين زيادة على أيامهم السبعة بما يدفعهم للتجلي لأحبائهم كبشر أسوياء، لاسيما أولائك الذين ينادونهم بأسمائهم بشكل صريح. هؤلاء - بالذات - عليهم أن يتحلوا بالصبر والإيمان كفاية أن تخف عقولهم يوم يرون من ماتوا منهم ينبعثون أمامهم بهيئتهم كما الأحياء. آنا لهم الصبر يوم يرون موتاهم ينفردون بهم ليلاً ساعة تخلو الدار من الناس؟

فالموتى يحرصون - حين يعودون من القبور - على أن تكون تلك اللقاءات مقتصرة على وجوه أحبائهم بعيداً عن عيون الغرباء!

فربما أن سرية تلك اللقاءات، واقتصارها على أحبة الميت - ساعة خلوة - هي السبب في عدم تداول الأحياء لخبر تلك الحوادث خشية أن يتهمهم الناس بالجنون.

لذا فأن أهل قرى نهر الروز - دوناً عن غيرهم - لا يسمون الميت باسمه لحظة موته ليستبدلوا أسمه المعروف بينهم بجنازة المرحوم أو قبر المسكين أو مجلس عزاء «المكرود «. وإن تطلب ذكر أسمه - من قبل أحدهم يخبر في مستشفى البلدة عن الوفاة، ستجده يرتجف ويتلفت من

حوله وهو يتلفظ حروف الاسم بارتباك، ويتبع ذلك في سره ألف بسملة وصلاة.

فهم يعرفون أن الميت يجيب من يناديه باسمه ويأتيه من قبره مسرعاً؛ وهذا ما يخيفهم ويجعلهم يمتنعون عن تسمية موتاهم بأسمائهم لحظة يموتون. لذا فهم يذكرونه ويتلفتون. يكذبون؛ يقولون تسمية الميت توجعه في قبره. وما يهم الميت من ألم وفوقه مقامع من حديد تضربه بها الملائكة لتتمة عذاب القبر؟

بالدليل لمسوا ذلك – لمس اليد – يوم مس ستار ابن حران مؤذن جامع القرية، بجنونه في الليلة التي ماتت بها زوجته مروة غرقاً في نهر الروز، وكانت لا تزال عروس لم تمضي يومها السابع بعد. بقي المسكين يناديها باسمها طوال الليل لفرط حبه لها فجاءت إليه من قبرها بهيئتها التي غرقت بها في النهر يوم خرجت من داره لجلب الماء. نصحه الكثيرين من عدم تسميتها باسمها لكنه لم يأخذ بنصحهم!

شهود جنونه والده حران وزوجته نرجس حكوا للناس أنه تبسم لحظة، ورحب بمروة التي زعم أنها أقبلت عليه داخلة للحجرة، حيث كان يئن من حماه الشديدة التي رزأ بها جراء غطسه في النهر طوال الليل بحثاً عن جثتها في ذلك اليوم الشتوي البارد الذي غرقت فيه.

نهض من مكانه وأقسم أن يرافقها لبيته المجاور لبيت أبيه ومنذ ذلك الحين وستار ابن حران المؤذن، مخبول يدور في أزقة القرية – ينادي عليها – هائماً على وجهه بغير هدى، ويعمل لدى أهل القرية في أعمالهم

مقابل حصوله على الطعام.

يحدث ستار الناس عن زوجته التي تركها في البيت كما لو كانت هناك فعلاً لولا أنهم يعلمون أن ستار يعيش في خرائب مهجورة لا أثاث فيها سوى فراشه الرث وزير ماء قذر لا يشرب منه كلب ظمآن.

لذا فأن أهل القرية لا يسمون الميت باسمه ولا يلويهم عن يقينهم هذا مهما كان الميت عزيزاً عندهم. العقل زينة وهم لا يرتضون لأنفسهم ما حل بستار.

يكرهون جواد الدفان طيب القلب لا لشيء فقط لأنه دفان القرية ولا يحبون طلته بينهم. يشيحون بصرهم عنه يوم يصادفونه في أزقة القرية ولا يدعونه لولائمهم الكثيرة، فقط لأن ذكره يحمل الموت وطقوسه. مسحاته التي يرونه يحملها على كتفه تجعلهم ينسون أسمائهم. جلابيته السوداء التي لا يلبس غيرها في القرية صيف شتاء، كابوس مفزع لهم بحد ذاتها.

من يراه في طريق يدلف لأخر، وإن حدث وحجز لنفسه مقعداً في سيارة ملا منيف الجيب هنا ستسكب العبرات!

سيحرص ملا منيف على قيادة الجيب على الجادة الترابية متشبثاً بالمقود كمن يمسك بثور هائج، أن لا تسقط السيارة منه في نهر الروز.

بقية الركاب سيلجم الصمت ألسنتهم ويعقدها في أفواههم طوال طريق الرحلة، التي يستغرق بالجيب ساعة ذهاب ومثلها للإياب.

حتى نسوة القرية يكرهن زوجته مسيرة ولا يستقبلنها في بيوتهن.

يستقذرنها يوم تشرب الماء من زير، أو الشاي بكوب رغم إنها لا تغسل الموتى ولا تحفر القبور في الجبانة.

يعلمن أن زوجها هو دفان القرية، لكنهن يزعمن بغضهن لها لأنها تغسل جلابيته السوداء التي يغسل ويدفن بها الموتى. يكذبن فهن يكرهنها لأنها تخيط الأكفان وتعد الكافور الذي يدهن به جواد الجنائز في مغتسل جامع القرية، تمهيداً لزقها في القبور. يخفن من الموت الذي يرافقها أن يبطش بإحداهن ويزعمن غير ذلك.

أهل قرية يخافون من خيمة الموت وبطشه بهم، ويدعون الإيمان بحلوله كأجل محتوم. يكذبون! فهم يخشون الموت. هذا ليس عيب، فالموت له رهبة وهيبة. لكن العيب هو كذبهم وادعائهم الإيمان الزائف به كحق لات حين مناص.

لذا فأهل قرية إمام عسكر، ومنذ أن حلت حنونة البدوية في قريتهم، يحرصون على أن تكون هي أول من تجهز موتاهم لزقاقهم الأخير مثل طبيب عارف ليس له بديل.

تعاويذها وطقوسها المعهودة أثبتت جدارتها - بالتجربة - من إبعاد شبح الموت عن بيوت القرية من بعد حلوله - بسيرته المفزعة - بأحدهم في الجوار.

وهي أخبر الناس منهم بموت حل في القرية قطف أرواح خمسة أفراد من بيت واحد على التوالي لولا أن أشارت عليهم العجوز البدوية بما يصنعون.

ماتت حليمة زوجة نصر الله بالجدري قبل عشرين عاماً، فتلاها من بعدها زوجها وثلاثة من أولادها - على التوالي - حتى ضجت القرية بالموت طوال شهر كامل.

لم يكن سبب موت الأولاد الثلاثة عدوى الجدري كما ظنوا. فحليمة ماتت مجدورة الوجه والجسد بالحمى القاتلة، أما زوجها نصر الله فمات بلدغة أفعى في اليوم الرابع بعد موتها وهو يرفع خيمة العزاء، فمات بعد ساعة. حينها لم ترفع تلك الخيمة وبقيت منصوبة قبالة دار نصر الله في سابقة غير مشهودة في القرية من قبل.

أولادهما الثلاثة جسام وقاسم وسهيل ماتوا الواحد تلو الآخر على مدار شهر كامل دون أن تظهر على وجوههم علامات الجدري وحماه الفتاكة كما أعتقد الجميع. رفعت تلك الخيمة ولم يتبقى في الدار المنكوبة سوى الطفل الرضيع عدوان.

كانت حنونة البدوية قد حلت في القرية منذ يومين قادمة - تركب ناقتها البيضاء مع بنتها سميرة - من صحراء «ترسخ «على حدود إيران لتسكن في القرية وجاءت - مع نسوة القرية - للبيت المنكوب للعزاء.

سألت عقيلة المنكوبة بأختها حليمة سؤال محدد بعد أن تغيرت ملامحها على نحو مفزع ساعة رمت بحجارتها في أرض الحجرة:

«هل رأيتم حليمة في المنام في الليلة التي ماتت بها «حينها أخبرتها عقيلة أنها رأتها تجول في حجرة نومها في طيف قصير.

تلعثمت العجوز وذكرت الله مرات عديدة حتى إنها تصببت عرقاً

ساعة كانت تتلفت في الحجرة بعد ظهور علامات ريبة على وجهها، ونهضت من مكانها لتأخذ عقيلة على إنفراد.

طلبت من عقيلة أن تذبح ديكاً رقابي أبيض وتصنع منه حساءً تملأه بحامض الليمون على الفور بعد أن أجلت شرح غايتها من وراء ذلك الحساء لعقيلة لحين نضوجه على موقد الجمر.

كان الطفل عدوان في حجر حنونة البدوية يحتضر ويسير نحو نحبه - بشكل حتمي - ويئن من أعراض المرض الغريب الذي قتل أشقائه الثلاثة من قبله.

صنعت عقيلة الحساء وجاءت به لحنونة البدوية فطلبت صحن اعتادت حليمة أن تأكل به طعامها فصبته به ووضعته بيدها بباب الدار بعد أن تمتمت أدعية ما تعرفها عليه.

شرحت العجوز العارفة لعقيلة إن حليمة حين ستأتي لبيتها لتأخذ عدوان معها ستتذوق الحساء الموضوع عند عتبة الدار في صحنها العزيز عليها قبل أن تدخل للدار. أسرتها وشوشة أن الموتى يكرهون طعم الحامض أيما كره لذا فهي سترحل لبرزخها دون رجعة وينجو عدوان.

يقال أنها رأت شبح حليمة في الحجرة - ساعة تصببت عرقاً - لكنها أمسكت لسانها عن إخبار عقيلة خشية على رشدها أن يطير!

في إعجاز لم يسبقه أعجاز شفي الرضيع عدوان من مرضه من ساعتها وهو اليوم رجل يدير بيت وعائلة في القرية ويعمل في طوف البيوت.

منذ ذلك اليوم وحنونة البدوية تشرف على تكفين أي ميت في القرية رفقة جواد الدفان، ولا تترك الجثمان حتى يزق في حجرة دفنه - رجل كان أم امرأة على حد سواء. حتى إنها - وكأجراء تحوطي - تمكث مع أهل الميت في دارهم طيلة أيام مجلس العزاء.

ما عدا نومان الشرطي الذي مات منتحراً في مخفر شرطة القرية والذي لم يعرف أهل القرية ولا من حقق في الحادث سبب إقدامه على الانتحار ذلك اليوم.

أشيع في القرية أن حنونة البدوية قد ضربت أحجارها وعرفت السبب لكنها أخفته عن الجميع. ربما لأن نومان كان قد ضرب حنونة البدوية بالهراوة - التي كان يخوف بها أهل القرية - على ظهرها يوم تشاجر معها؟

لم تحضر مجلس عزائه ولم تكفنه كما تفعل مع الجميع فماتت أمه سليمة من بعد موته بشهرين، وخلت دار نومان من أهلها وهي خرائب متهدمة غير مسكونة منذ أمد طويل.

ربط أهل القرية ما جرى لنومان بتلك الحادثة، ومن حينها لا يجرؤ أي من أهل القرية على التعرض لحنونة البدوية في القرية بقول أو فعل.

الموت الذي حل اليوم في القرية يشبه - لحد بعيد - بما جرى لنومان الشرطي سوى أن أداة الانتحار التي أستخدمها ملا منيف هي حبل قتب وشجرة وبرميل.

الانتحار كسبب من أسباب الموت يلح للإجابة على سؤال يختلف عن

تلك التي ترافق الموت متعدد الأسباب. فلو مات أحدهم قتلاً سيكون السؤال هو:

- من قتل فلان؟

وعند الموت الطبيعي سيكون السؤال هو:

- ما سبب موت الرجل؟

أما المنتحر سيسأل الناس عن سبب انتحاره قبل أن يعرفوا أي شيء أخر:

- لماذا انتحر فلان؟

فحين انتحر نومان الشرطي سأل ضابط رفيع جاء من بغداد لمخفر القرية للتحقيق في الجريمة أول ما سأل عن سبب الانتحار. لم يسأل عن أسم نومان ولا عن عنوانه.

أجابه مفوض مرهون بأنه كان سكران شرب زجاجة كاملة من العرق. لم تكن حينها تلك الإجابة مقنعة لذلك الضابط الأريب، فأخذ ينبش في غيرها للتوصل لسبب الحقيقي للانتحار.

سأل أسئلة كثيرة وصل من خلالها لشجار حصل بينه وبين حنونة البدوية. أخبره أحدهم أن نومان تشاجر مع العجوز فصمت دون أن يطلبها للتحقيق. رحل من القرية عصر ذلك اليوم مقيداً القضية برمتها كانتحار مع توصية بتقصير عريف مرهون بنقله عن مخفر القرية للعاصمة بغداد.

ربما نأى ذاك الضابط بنفسه عن مكر عرافة أجمع كل أهل القرية

أنها قالت لنومان بعد أن ضربها على ظهرها بهراوته أنه سيندم جزاءً بما فعله بها.

فعلاً سيندم نومان يوم يسأله الملكان في قبره عن سبب انتحاره. ناهيك عن شربه المفرط للخمر وأخذه للرشوة من الناس. وكذا حكاية تسرب دخان نارها من بيت العجوز البدوية عن علاقة ماجنة بينه وبين مفوض مرهون كسبب مستتر للانتحار!

وفي غير الانتحار، تلاحق أروح القتلى - لاسيما المظلومين منهم - قاتليها للثأر منهم لعنة تقع وبالاً عليهم من فقر مدقع أو مرض سقيم وقد تصل في أحيان كثيرة للموت قتلاً بشارة من الله العلي القدير على لسان نبيه المصطفى يوم بشر القتلة بالموت قتلاً ولو بعد حين.

يعلم أهل قرية إمام عسكر ذلك جيداً، لذا فهم مسالمون لا يؤذون نملة ولهم بما جرى لعبد الباري الشقي، الذي كان يفرض عليهم الإتاوة جوراً في أوقات الحصاد وجني الثمار ويدعيها أنها أجرة له عن حراسة القرية ليلاً من العتاة والأشقياء الذي كانوا يأتون للقرية من أماكن بعيدة، عبرة يعتبرون بها يوم يتشاجرون.

ذات يوم رفض نعيم البستاني أن يدفع لعبد الباري الشقي إتاوته المحددة بقنطار من التمر ومثله رزاً شتاءً وما يقارب ذاك شعيراً وقمحاً عند حلول الحصاد وجني ثمار البساتين صيفاً فطعن عبد الباري نعيم بسكينه في صدره طعنة واحدة أودت بحياته على الفور.

حدث ذلك منذ أمد بعيد ولم يجرؤ أي من أهل القرية من رد عبد

الباري فعاث في القرية فساداً لوقت طويل، عاونه في ذلك أن القرية لم يكن فيها مخفر شرطة يشتكون إليه جور عبد الباري وظلمة لهم.

وفي ذات ليلة صرخ عبد الباري في الجبانة، التي تعود أن يستعرض شجاعته المزعومة، يوم يتخذ منها طريقاً لمشاويره، دوناً عن باقي خلق الله، الذين يحرصون على تجنب المرور بقربها ليلاً لما يسمعه الناس عنها من حكايات مخيفة.

يقال أنه استغاث بنفر من أهل القرية سمعوا صراخه المتعالي بعد أن تناهى حتى للبعيدين عن الجبانة لكنه لم يغاث. حتى مع افتراض أنه من الخيرين لن يجرؤ أي من أهل القرية على دخول الجبانة ليلاً لأي سبب كان.

عثر أهل القرية على عبد الباري الشقي مقتولاً عند قبر نعيم البستاني بالضبط، حتى أنه أنكفأ فوقه وقد غرست سكينه الطويلة – التي كان يخوف بها الناس – عميقاً في صدره وخرجت رأسها من ظهره بشكل غريب.

ما استغاث به عبد الباري من كلمات جعلت من أهل القرية لا يقتربون من أرض الجبانة حتى في شمس النهار بعد أن كان ذلك أمر عادي لهم يوم سمعوه يصرخ متوسلاً بنعيم الميت أن يرحمه ويغفر قتله له قبل عام.

لكن ما جرى لعبد الباري لم يخوف أهل القرية من التقرب من أرض الجبانة فحسب؛ بل إنه جعل من الحادثة برمتها عبرة لغيره أولهم

ولده مجيد، الذي رما عصا حملها مع والده أيام شقاوته ليتجه لحياكة السجاجيد في داره لأهل القرية مقابل أجر يكسبه منهم بعرق جبينه.

تناقل الناس خبر ما جرى لعبد الباري في الجبانة لزمن طويل في القرية حتى صارت الحادثة مضرب مثل لعاقبة المعتدين. لذا فأن أهل القرية مسالمون!

أما الانتحار كجريمة فأن المنتحر سيؤذي بها نفسه فقط دون أن تؤدي لعواقب وخيمة في هذه الدنيا، فيما لو استثنيانا الفضيحة والشنآن الذي يحيق بالمنتحر وأهله، الذين ستنكس رؤوسهم في القرية لوقت طويل.

كذا ما حدث ذلك اليوم لملا منيف ومن قبله لنومان الشرطي.

فهي الجريمة الوحيدة التي يعرف فاعلها ولا تنتهي بصدور أمر قبض عليه فيها ولا يسجن بها خلف قضبان السجون بل تنتهي بالجاني تحت التراب في قبر وعذاب شديد.

في أحيان كثيرة لا يفصح المنتحر عن سبب انتحاره تاركاً الباب مشرعة على الظنون. لكن الناس سيتساءلون عن سبب الانتحار حتى وإن عرفوا مقدماً إن المنتحر سيحرص على أخفاء دافعه للانتحار.

لكن رجلاً دقيقاً في حياته مثل ملا منيف، لم يترك الباب موصدة من خلفه على الدافع الذي جعله يقدم على ما فعله فجر ذلك اليوم، وحرص على حل عقدة اللغز للناس حتى قبل أن يربط عقدة الحبل على عنقه ويهوي نحو حتفه من البرميل.

٣

ما أن دخل جميل جبارة لدار جاره حتى أدرك سبب تأخر الرجل عن موعد الانطلاق للرحلة. لم يكن برد الفجر كما ظن ذلك؛ فالرجل قد شنق نفسه.

رفع جميل رأسه عالياً نحو جثة ملا منيف المتدلية من شجرة الأثل العملاقة بحبل غليظ من القنب، فبدت مثل فزاعة حقل هزيلة بعد أن تخشب جسده على نحو عجيب.

فملا منيف بقامته القصيرة والهزيلة، ورأسه الصغيرة كان يشبه من قبل خفاف الدم في القرية بفزاعة الحقول، حتى أن ملامح وجهه الطفولية تزيد من دقة الشبه والتشبيه.

لاحظ جميل وهو يتلفت حول الجثة، البرميل القديم الذي استعان به الرجل ساعة أرتقاه للانتحار، حيث تذكر أن ملا منيف كان قد أشتراه من سوق البلدة الجمعة الفائتة، وساعده هو بنفسه على ربطه فوق سقف السيارة بحبل لمنعه من السقوط في الطريق.

أستغفر الله بصوت خافت وتراجع بضعة خطوات للخلف مشمئزا من بشاعة المنظر. فوجه ملا منيف الشاحب بعد أن تدلى لسانه من حلقه نحو الخارج، وشخصت عيناه نحو الأعلى كان مخيفاً لكل من يراه.

كان المنظر برمته مدعاة للرعب قبل أن يكون فأل سيءً لتاجر يقبل على عقد صفقة سترفعه من وحل القرية وعفرها نحو نجوم العلياء.

لذا فهو قد تنحى جانباً مفسحاً الطريق لغيره - من أهل القرية - يتمثلون الجثة المعلقة في حبلها، ونأى بنفسه بعيداً ليبحث له عن مجلس بين زحمة الحشود.

جلس القرفصاء قرب عمران وغيره ممن تجمعوا من أهل القرية للفرجة بعد سلام مقتضب، وأدار رأسه نحو مرأب الطين فلمح سيارة ملا منيف الجيب الخضراء في مكانها، فتمتم كلمات غير مفهومه. ربما هو شتم ملا منيف سراً قبل أن يشرع بأي حديث، بلسانه المدمن على الشتم والسباب. فجميل جبارة بذيء اللسان إذا نطق جملة من ثلاث كلمات فتأكد حينها أن إحداها - إن لم تكن الثلاثة جميعها - لابد أن تكون خادشة للحياء.

أخرج جميل كيس تبغه من جيبه ولف منه سيجارة ثم أشعلها بعود ثقاب من علبة الكبريت بحث عنها طويلاً ضارباً بكفه على كل جيوبه حتى أنتبه أخيراً إنها كانت في يده؛ من شدة الارتباك.

ثم راح يروي في غيض:

«أستغفر الله»

يا له من يوم أسود. اللعنة على وجوهكم جميعاً يا أهل قرية النحس. لا أرى فيكم غير غربان سود تنعق بالشؤم والثبور. الرجل معلق من عنقه بحبل وأنا ظننت أن البرد هو ما أخر محرك سيارته عن الدوران. قرية نحس! سيفوتني موعدي مع تاجر الحبوب الذي سيأتي من بغداد.

دأبت طوال عام كامل أشتري الحنطة والشعير والرز منكم وأكومه في مخزني المجاور لداري منتظراً حلول هذا اليوم - بفارغ الصبر - وينتحر صاحب السيارة التي ستقلني للموعد المنشود.

كم حاولت أن أقنع موزر البخيلة في أن نشتري سيارة حمل أتنقل بها بين القرية والسوق لكنها عاندتني ولم تقبل. بغلة رأسها يابس. ماذا أصنع لها، تعلمون أنها شريكتي بالمال بعد أن بعت ذهبها الذي ورثته عن أمها. لو إنها هي من شنقت نفسها اليوم لكنت ارتحت منها للأبد.

اللعنة عليك يا ملا منيف لما انتحرت هذا اليوم بالذات؟

«أستغفر الله»

ألم تصبر لما بعد العودة من رحلة السوق؟ لماذا لم تفعل ذلك بالأمس لأجل أن أجد بديلاً يوصلني للسوق؟

قدري أن أبيع ما جمعته من حبوب اشتريته هذا العام لتجار الحبوب في بلدروز بنصف ربح تاجر بغداد. كلام قلته لموزر البخيلة طويلاً وأنا أحاول أن أقنعها لشراء سيارة الحمل.

قلت لها مراراً لو اشترينا اللوري الصغير سنستطيع إيصال محصولنا لبغداد ونبيعه هناك بضعف الربح هنا. لكنها بغلة لا تفهم. تشبه بغلة

الطاحونة حد التماثل في غبائها وشكلها المكور، تعرفون ذلك.

«أستغفر الله».

لا تسمع غير صوت نفسها. لكنها رغم غبائها تعرف كيل المحصول لتحسب ثمنه وتعد علي كل قرش حتى المصروف. تتهمني بالسرقة وتحاسبني على الدرهم. أنا لست سارقاً. الجوع كافر. كنت أسرق البيض والدجاج لأكل وأسد جوعي يوم كنت فقيراً أجرب.

تعيريني البغلة بماضي ولا ترضى أن أذكرها بماضي أبيها جوحي سارق التمر من بساتين القرية. كلنا سرق ليأكل يوماً ما من تقتير وفاقة. أنتم تسرقون الخضار من حقول غيركم. ألستم تفعلون؟

هذا المرحوم المعلق أمامكم مثلاً! أولم يشترط عليكم من قبل أن ينقلكم بسيارته لسوق بلدروز شرط أن تدفعوا ضعف الأجرة فيما لو تأخرتم عن موعد العودة للقرية - تمام الحادية عشرة صباحاً - لأي ظرف كان؟

يتأهب للمتأخر ضجراً قرب سيارته في مفرق المحطة عند رأس شارع الحواش يمسك بساعته ذات الزنبرك ومنبهها العجيب ليريه بأم عينيه أنه تأخر عن الموعد المتفق عليه وهو يجدف بكل مقدس بما لم ينزل الله به من سلطان.

«أستغفر الله»

الله لا علاقة له بالكفر. البشر يجدفون. ويجبر المتأخر منكم على دفع ضعف الأجرة جوراً كغرامة للتأخير.

يستشهد بأيامه في خدمة حرس السجون - مجادلاً المتأخر - أنه لم يتأخر ولو لدقيقة، طوال ثلاثين عاماً قضاها في الخدمة كحارس في سجن نكرة السلمان. يروي لركابه طوال الطريق مشقة التحاقه كل شهر للسجن الواقع في أقصى بادية السماوة بقطار ثم يكمل الوصول للسجن القابع في قلب الصحراء، على الخيل والبغال دون أن يتأخر يوماً عن موعد الالتحاق.

يأتي المساء وينشر كوفيته على رأسه ويصلي بكم في جامع القرية كأمام للمصلين بعد أن يتملقه حران المؤذن ويقدمه للإمامة على اعتبار أنه أعلم منه في أمور الفقه والدين.

كلكم تنسون تجديفه خلال رحلة السوق صباحاً وتساوون صفوفكم وتصلون وراءه بخشوع.

تجعلونه يعقد قران أولادكم وبناتكم وأنتم تعلمون كفره وإلحاده وصلاته المتقطعة لماماً في الجامع وبيته على حد سواء.

قرية عجب. لولا مرقد الولي الطاهر الإمام عسكر (عليه السلام) التي تحمل القرية أسمه، لكنت سميتها قرية عجب. ولسعيت لأن أغير أسمها حتى في سجلات الحكومة ولو كلفني ذلك نصف ثروتي من معاملات طويلة ومخاطبات.

كلكم تسرقون.

أولم يسرق مختار قريتكم طه النوشي من نواره حصتها في أرض والدها قبل أن يزوجها لملا منيف؟ كلكم رأيتم المختار يجر اليتيمة جراً

كالبهيمة، نحو محكمة البلدة ليوقعها على تنازل من حصة أبيها. أليست هذه سرقة أم ماذا؟ ليخبرني أحدكم غير ذلك. كلكم تفعلون. لا ميراث للنساء في أرض الآباء والأجداد.

تحبسون حليب البقرة قبل أن تبيعونها على تاجر المواشي لتبدو بقرة حلوب، وما أن تعدون ثمنها حتى تقبلون النقود وترفعونها على جباهكم سبع مرات شكراً لله. تنسون أن الله أمركم بعدم المخاتلة في البيع وإن حبس لبن المواشي في ضروعها أمر حرام، ومع ذلك تفعلون. مجيد حائك السجاجيد فعل ذلك بالأمس حين باع بقرة على تاجر مواشي قدم من بلدة بلدروز وأقسم له أنها تحلب سطلين مليئين بالحليب كل يوم. كل أهل القرية - وأنا منهم - نعلم أن بقرة مجيد عجفاء لا تروي عجلها الأجرب الذي يتبعها. أقسم بالباطل وباعها وعاد ليسرق الغزل من نسوة القرية حين يحيكه لهن.

أو تبيعون الحائل من البقر على إنها من العشار في شهرها وتقسمون على ذلك أيمان بهتان كثيرة. تسمونها أيمان لغو لأجل أن تبرروا لأنفسكم حلفكم الباطل.

يأتي موسم الزكاة فتلبسون نسائكم كل حليهن لأجل أن تخرج من عدة الزكاة. تخلطون الشيلم بالشعير والدنان بالرز حين تبيعوني محصولكم لأجل أن يزيد الكيل ومن بعد ذلك تصلون صلاة الواجب والنوافل بعيون دامعة.

تسرقون الخضار من حقول جيرانكم وتطعمون به أنفسكم وأهاليكم،

ويوم يستفتيكم أحد من الناس عن حلة أكله تفتون زوراً بالحلة على أنكم غير باغين من مخمصة تدعونها.

تشربون الخمر في المساء عند دكان عمران اللقيط وتصلون رياء الناس في الجامع صلاة الفجر.

عدوان البناء مثلاً، يشرب الخمر عند دكان عمران ليلاً ولا يعود أدراجه للبيت إلا بعد أن يسنده أحد الشباب لزوجته متعتعا بسكره وعند آذان الصبح ستجده في الجامع في الصف الأول للصلاة.

«أستغفر الله»

نومان الشرطي كان يجلدكم بهراوته كالبهائم يوم تكسرون قفل نهر القرية أو تتشاجرون على أرض مختلف عليها، وبعد ساعة تتملقونه في المخفر كالعبيد. لكن إن حدث وصفع واحد منكم أخر بكفه في القرية ستقوم الدنيا بما لا تقعد حتى يأتي شيخ هذا وكبير بيت ذاك للفصل في النزاع.

هراوة نومان الشرطي عادية للجميع. حلوة كالشهد، أما صفع أحدكم لوجه أخر فهي كبيرة من الكبائر. قرية عجب!

«أستغفر الله»

أن يحبس الله عنا نهر الروز أن يفيض بمائه علينا ويغرقنا جميعاً لأجل طير أو بهيمة هنا لا لأجلنا نحن أهل قرية عجب.

يوم كنت فقير الحال كنتم تحتقرونني مثل كلب أجرب. تجلسونني في مجالسكم قرب النعلان، أما وقد أنعم الله علي بثروتي هذه صرتم

تبجلوني وتوقروني كما يوقر العبيد أسيادهم.

تدعون الأغنياء لولائمكم وتطعمونهم اللحم والشحم والثريد، وتسمونها خيرات لوجه الله. وإن طلب أحد الفقراء الطعام منكم تتهربون أو تقترون.

تأكلون أموال اليتامى بينكم بالباطل ويوم تجلسون في مجالس الثرثرة تتشدقون بالعدل الذي لا تعرفون له طريق.

تنذرون النذور تقرباً لله ويوم يحقق الله لكم حاجاتكم تماطلون في الوفاء. تؤجلونه أعوام حتى يفتك الله بكم بمصيبة عقاباً للنكال، فتعودون لتوفوا بنذركم ذاك لكن مع تصغير وتحوير.

الذي نذر منكم خروفاً سيذبح حملاً مريضاً، ويحرص على اختلاس نصف لحمه لعياله، والنصف الآخر للأغنياء.

أما الفقراء: يجلس الناذر منكم حين يقسم الحصص ويقتر ألف مرة قبل أن يرسل حصة من نذره لذاك الفقير. فلان لا يصلي وذاك لا يزكي وهذا يجدف وتبقى القسمة للأغنياء فقط.

تفتون من عندكم بفتاوى ما أنزل لها بها من سلطان.

«أستغفر الله»

أنا خير منكم وإن كنت سارقاً في الماضي. لم أعد أسرق من أحد اليوم. لي ثورة ومال وعزوة وعيال. لكن موزر تديم تقريعها لي وتذكيري بسرقات فعلتها لأني أردت الزواج عليها بريمة بنت مجيد حائك السجاجيد كنت رتبت كل شيء لذلك سراً لولا الحيزبون حنونة المشعوذة

لعنة الله عليها.

«أستغفر الله»

أطلب منكم أن لا يشي بي أحدكم لدى الحيزبون البدوية فهي ساحرة شمطاء تؤذي الناس بالشعوذة.

ما جرى لنومان الشرطي من فعل يديها وأحجارها. أنا متأكد أنها هي من دبرت - بطريقة ما - ما حصل اليوم للرجل المسكين منيف.

لكن علي أولاً أن أتدبر أمري في بديل يوصلني لسوق بلدروز لأجل أن لا يفوتني موعد تاجر بغداد.

٤

لم ينزل عمران جثة ملا منيف المتدلية من شجرة الأثل العملاقة وسط فناء الدار، وأرسل أحدهم لمخفر شرطة القرية ليبلغ مفوض مرهون مأمور المخفر بالحادث. فعلى الرغم أن ما حدث لملا منيف هو أنه أقدم على الانتحار بنفسه لكنها مع ذلك تبقى جريمة تستوجب إبلاغ الشرطة عنها قبل كل شيء.

جسد العجوز المسن الهزيل بدا مشهده مرعباً للجميع وهو يتأرجح متدلياً بحبل القنب الغليظ حين تداعبه ريح الغربي الباردة، أو حين يتفحصها فضولي من أهل القرية، ويهزها بيده كما يفعل تاجر المواشي ببهيمة قبل أن يشتريها.

رأسه الصغير بشعره الكث الأشيب وعنقه الذي استطال بشكل عجيب بدا كوردة جوري بيضاء علقها أحدهم بذاك الحبل لغصن شجرة الأثل العملاقة وسط فناء الدار.

لسانه الذي برز خارج حلقه المفغور ولعابه الذي بلل جيب جلابيته

الرمادية، ورائحة الغائط التي ملئت المكان؛ بعد أن خرج البراز من دبره ولوث ثيابه؛ ربما لارتخاء عضلات شرجه على ما يبدو، هو ما أثار قرف الكثيرين وجعلهم ينأون بأنفسهم بعيداً عن الجثة المتدلية من فرع الشجرة الغليظ، بخروجهم من الدار.

غير أن الخوف بدا سبب - ذا أولوية - من أسباب هروب الكثيرين من باحة الدار نحو الجادة على نهر الروز، لا رائحة البراز النتنة كما كانوا يدعون.

جلس عمران جوار السور الطيني لدار عمه من الخارج، متكئاً عليه بظهره، متقياً برد ريح الغربي بعد أن أشرقت الشمس حاملة معها - للقرية - دفئ يسير.

لمح عمران الوجوه المألوفة من أهل القرية من حوله وقرأ في أعينهم تساؤل عن سبب انتحار ملا منيف، بحيث أن السؤال كان يحزقهم كما يحزق البول مريض السكري ساعة يفز من النوم؛ فأثر الاختباء وراء صمت المصيبة برهة قبل أن يشرع بأي حديث.

لكنه عاد يروي لهم ما جال بخاطره من حزن وهو يطالع جثة عمه المتراقصة أمامه وسط جلبة وعويل زوجته حسنة وزوجة عمه نواره وغيرهن من نساء القرية بعويلهن المصطنع للمجاملة:

«لا شيء أخفيه عنكم فانتم فوق البئر وتحته».

أنا مثلكم لم أتوقع أن يقدم عمي الملا على فعلته هذه. أي شيطان مريد أوحى له بما فعل بنفسه؟

رجل بمثل عمره يقتل نفسه هذا لم يكن بالحسبان. أنا متحير مثلكم. لا أعلم السبب الذي دفع عمي لفعلته المشينة هذه.

صحيح إنه رجل غير متدين كفاية حتى وإن كان يقرأ القرآن، ويحفظ من سوره الشيء الكثير، علاوة على حمله كنية الملا التي ورثها عن أبيه كمهنة لعقد قران المتزوجين من أهل القرية، لكن هذا لا يعني أن يدفعه الشيطان لقتل نفسه.

صحيح أنه يجدف كثيراً ويجزع من أي مصيبة سريعاً، لكن أن يقتل نفسه فهذا ما لم أتوقعه منه. يكسر الأشياء حين يثور، لكن أن يكسر عنقه بهذا الشكل المعيب، هذا لم أحسبه منه على الإطلاق.

فهو منذ أن تزوج بنواره تغير نحو الأحسن. لم يعد يثور كعادته ولم يعد يجدف لسبب أو دون سبب. الشابة الصغيرة غيرت حياته نحو الأفضل. أخذ يتبسم ويمازح الناس بعد أن كان يائساً من الحياة.

فعمتي سنية رحمها الله أذاقته الويل قبل أن تموت كما هي بنتها حسنة معي.

«لا شيء أخفيه عنكم فانتم فوق البئر وتحته».

أموره المادية عال العال. يملك أرضاً زراعية واسعة غربي القرية وهذا البستان الوارف من خلفكم، علاوة على ثروة كبيرة جمعها لا يعلم بها سوى الله. تقاعد مجزي يقبضه كل شهر من الحكومة التي كان موظفاً فيها، وهذه السيارة التي تدر عليه مورداً مالي آخر، يضاف لما يكسبه من أرضه الزراعية وتقاعده الشهري.

بالأمس ذهب لسوق البلدة بعد أن أستأجره حسن المعلم أبن المختار وأصطحب - معه في رحلته تلك - عروسه نواره وقضوا النهار بطوله هناك. عاد من الرحلة وكان مغتبطاً معتدل المزاج.

لم يكن رجلاً يائس من حياة. كان مفعماً بها. صحيح أنه لم يهيأ سيارته عصر الأمس لرحلة اليوم كالمعتاد. ولم يأتني بها للدكان لأغسلها له على جادة نهر الروز ككل خميس يسبق رحلة يوم الجمعة.

أنا أعرفه أكثر من نفسي يوم يكون فرحاً لا يتحرك كثيراً. يمكث في داره ولا يخرج منها نحو دكاني. حين يغتم يأتي عندي، يجلس وحيداً على دكة الطين على ضفة النهر تحت شجرة الصفصاف ويقضي الوقت بطوله صامتاً لا يكلم أحداً من الناس. حتى إنه في الليل لم يكن عصبي المزاج كما هو طبعه على الدوام.

مررت به وشربت الشاي معه ومع نواره بعد العشاء. صحيح أنه لم يتحدث طويلاً معنا ويمازح عروسه ذاك المزاح الماجن، لكنه لم يكن رجلاً يسير نحو قتل نفسه عند الصباح.

من لي بعده في القرية رحمه الله. التقطني من سجن - نكرة السلمان - بعد إعدام والداي، وتبناني وأنا صبي ولم أبلغ الحلم بعد. رباني كولد له بعد أن جاء بي للقرية يوم أحيل على التقاعد. فوجدت حسنة صبية تلعب في الدار. كبرنا سوية لكنها كانت تحتقرني وتعيرني باللقيط منذ صغرها. هي من لقبتني بهذه الكنية التي لم تفارقني حتى اليوم.

كم أنبها عمي الملا وطلب منها أن تعاملني باحترام لكن بلا جدوى.

كبرت وكبرت الكنية معي وصارت شهرة لي بين الناس في القرية. كنت أول الأمر أتضايق منها، أما اليوم فهي أمر عادي بالنسبة لي ولا تعدو غير اسم شهرتي في القرية. تعودت على ذلك.

بعد سنوات طوال قضيتها، وحين اشتد عودي، فتح لي عمي الملا دكاني هذا، بعد أن شيده بيده وجهزه ببضاعته من ماله ثم وزوجني ببنته حسنة بعد أن تكفل بكل المصاريف.

فضله علي هو من جعلني أصبر على تجبر بنته حسنة معي وإذلالها الدائم لي. رجل - رغم بخله وفظاظته مع الجميع - إلا أنه معي كنسمة ريح باردة حنون في نهار تموز قائظ.

دخل علي للحجرة في ليلة عرسي بعد أن أخرج حسنة لتصنع لنا الشاي وأخبرني بأنه يعلم أن بنته قد ضربتني. سمع الصياح والجلبة فجاء إلي ليلاً لينصفني ويجبر خاطري المكسور. رجل نبيل. هو يعلم أنها لم تسمح لي أن ألمسها تلك الليلة.

بكل لياقة أخبرني بأنه سيجعلها تخضع لي حتى لا أظن بها ظن السوء. تعلمون أن المتمنعة - ليلة دخلتها - عن زوجها لابد أن عيب فيها جعلها تمنع نفسها عن زوجها حتى لا يفتضح ما تخفيه.

هو من خرج إليها وتكلم معها طويلاً في مطبخ الطين المجاور للحجرة وجعلها تأتي بعد خروجه وتطلب الفراش. سمعت كل شيء.

«لا شيء أخفيه عنكم فانتم فوق البئر وتحته».

أخبرتني من ساعتها أنها لا تحبني وأن أبيها قد أجبرها على الزواج

بي، حتى أنها أخبرتني أنها تحب حسن أبن المختار طه النوشي معلم المدرسة وكلكم تعلمون ذلك.

طلبت مني أن أطلقها وتحدتني بكرامتي. قالت لي حتى وإن عشت معك بجسدي في بيت واحد سيكون قلبي مع حسن ابن المختار.

بحت لعمي الملا بذلك لكنه أخبرني أن الأيام ستنسيها حسن وسيتحول كررها لك نحو حب وطاعة. فسر لي عدم تقبلها لي بأنها تربت معي في دار واحدة وسيشغلها الخلف إن رزقناه عن أي شيء. مرت الأعوام ولم نرزق بالخلف الموعود وحسنة باقية على عهدها.

ولما أحس عمي الملا ببأسي من صلاح زواجنا، بعد أن فشلت الأيام في مداواة الجراح، يوم اتخذت قراراً بالانفصال عن حسنة، أخذ يضربها ويعنفها ليردعها عن غيها، لكن بلا جدوى. قال لي يوماً بعد أن ضربها حتى أدمى وجهها، بأن معلم مرموق لن يفكر في جاهلة مثلها كزوجة له، وإن هذه أوهام جالت في خاطرها بطيش المراهقة والصبا. سمعت كلامه وحاولت أن أكمل المسيرة. أطعته مرة أخرى من باب رد المعروف على صاحبه. فهو من انتشلني - يوم أعدم والداي - من وحل الضياع بلا معيل.

فبرغم أن حسن المعلم لم يتقدم لخطبة حسنة من قبل، ولم يعرها أي اهتمام، لكن عزوفه عن الزواج حتى هذا اليوم هو ما بذر بداخلها بذرة أمل نمت فأورقت شجرة وارفة في خيالها المريض.

صارحتها ذات يوم إن حسن أخبرني في دكاني - بشجاعة - أنه لا يفكر

فيها وطلب مني الرجل - بكل نبل - أن أوصل رسالته إليها. فضربتني وطردتني خارج الدار، وتوجهت لأقضي ليلتي في الدكان كالعادة.

جاء عمي الملا للدكان وأعادني للبيت. لم يسألني عن سبب الشجار. هو يعرف كل شيء. هو أخبر مني بسماجتها؛ فهي كأمها سنية. لكنه فضل عدم إحراجي يوم لم يسألني عن سبب الشجار.

أنا لم أخبره بضربها العنيف لي بعد أن أخبرتها بما قاله لي حسن مشكوراً بعد أن أحس بالذنب تجاهي، حين كان يراها تعاملني بفظاظة كما يعامل أهل القرية بهائمهم.

لكن عمي عرف بذلك يوم رأى الدماء التي سالت من أنفي حتى بعد أن غسلت وجهي. مفترية سامحها الله. تعلمون أنني قوي والقوة لله وهي صغيرة الجسد كيمامة وبإمكاني أن أحملها بيد واحدة لأرميها من بيتي نحو نهر الروز. لكن حبي لها هو ما يمنعني ويجعلني أبدو يوم تضربني حسنة كثور ضخم يسوقه صبي هزيل. أحبها ولا أقدر على إيذائها!

رأيتها منذ أسبوع تعبر قنطرة الحديد نحو بيت سروة أخت حسن المعلم والتي يعيش عندها بعد شجاره مع والده طه المختار؛ لأجل أن تراه وتكلمه. وحين سألتها عن سبب ذهابها لبيت سروة ضربتني وأسمعتني أقذع النعوت وطردتني لأبيت في الدكان. ليالي كثيرة قضيتها هناك وحدي، وأنتم تعلمون بذلك يوم ترون ضوء الفانوس منار في الدكان.

نواره هذه التي تعاديها اليوم بعد زواجها من أبيها كانت تتملقها قبلاً لأجل أن تتوسط لها عند حسن المعلم أبن عمها علها تقنعه بأن يتقدم لها

للزواج. كلكم تعرفون ذلك.

أنا من أقوم بكل العمل حتى لا تخرج من الدار لأني أغار عليها رغم علمي بعدم حبها لي. أحش الحشيش من الحقول وأحمله بالعباءة على ظهري للأبقار وأسقي الخضروات وأجنيها. أحلب الأبقار وأعلفها.

أخفي كل ذلك عن أبيها لكي لا أفقدها لأني متيم بها. عمي الملا هددها أخر مرة أعادني فيها من الدكان بعد أن طردتني من الدار ليلاً في أنه سيطلقها مني وأقسم على ذلك.

تعيرني باللقيط ولا أهتم. تضربني بنعالها ولا أغضب منها. هل تعلمون لماذا تطردني ليلاً من الدار لأبيت في الدكان؟ تفتعل شجار ما حينها حتى لا تشم رائحتي في البيت. أخبرتني ذلك في نوبة غضب.

أخفي كل ذلك عن عمي لكي لا يضربها. هو الوحيد القادر على ضربها. أنا أبكي لبكائها ساعة يضربها عمي الملا مثل طفل منع عند ثدي أمه للفطام.

يوم ترى حسن عندي في الدكان تتعمد القدوم متزينة بعد أن تختلق نواقص غلة للبيت رغم عدم حجاتها لها، كالخميرة أو الملح أو علبة معجون طماطم وغير ذلك وهي تعلم أني أكوم في البيت أكوام مما جاءت لأجله للدكان.

أعلم أنها تتحجج بالملح والخميرة لكنني لا أقدر على محاسبتها. كلكم تعرفون بحبها لحسن وتعلمون أني أعرف بالأمر، كما ترونها تضربني وتشتمني دون خجل أو وجل. لا تهاب في ذلك سوى عمي الملا رحمه الله.

من سيقف في صفي بعد موته؟

كلكم تحتقرونني لأني غريب عن القرية. الكنية التي لقبتني بها حسنة ذاعت كشهرة لي بينكم في القرية ولم أعد باستطاعتي أن أرد على أي أحد منكم يعيرني بها. أنا لست لقيط. عمي الملا أخبركم أن والداي أعدموا في سجن - نكرة السلمان - لجرم سياسي حينها. مع أني لم أعد أذكر وجهيهما، لكني أذكر طيفاً أني عشت معهما في بيت وعائلة.

كان والدي ضابط جيش أشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني وأعدم هو وأمي في السجن. سقط النظام وأعدم الملك وصار الضباط الخونة أحراراً أما أنا فلم أنل من ثورة والدي ورفاقه سوى كنية اللقيط.

سيأتي مرهون اللعين ليحقق في انتحار عمي وأنا متأكد أن حسنة ستكيل التهمة لنواره المسكينة. لن تهدأ حتى ترميها في السجن. ستمنعني من الشهادة لصالحها يوم وجدت مزلاج الباب مغلق عليها من الخارج كدليل خلفه عمي ورائه على براءتها.

سأفعل ما تريده حسنة رغم علمي بأن ذلك جور. فهي إن فعلت وشهدت لصالح نواره ستطردني من البيت للأبد لاسيما بعد موت عمي الملا وبقائي وحيداً بلا مدافع عني في القرية المقيتة.

«لا شيء أخفيه عنكم فانتم فوق البئر وتحته».

على العموم هي ستفعل ذلك شهدت ببراءة نواره أم لم أفعل! فهذه فرصتها. مات من كان يردعها عن غيها. سترمي بحاجياتي نحو الطريق بعد نهاية مجلس العزاء. أنا متيقن من ذلك. وستسكتون عن ظلمها لي.

ستشمتون بي كعهدكم حين تحل المصائب بالآخرين. لا خير في قريتكم على الإطلاق.

قرية يوقر أهلها الحقراء ويذلون الأتقياء لا خير فيها. يقدرون الناس لما في جيوبهم ولا ينظرون لجوهر الرجال.

تحترمون جميل جبارة لص الدجاج والأبقار في القرية بعد أن فتح الله عليه وصار تاجر حبوب غني محدث نعمة، وتجلسونه كهيبة ديوان في مجالسكم.

تجلون مفوض مرهون اللوطي وتقدسونه كأمام مبجل لديكم لأنكم تهابون نسره المتدلي من ياقته وطبنجته الميري التي في حزامه، وأنتم تعلمون علم اليقين أنه يأتي الفاحشة في مخفر الشرطة مع صبي مأبون، يأتي به معه من بلدروز - بين الحين والحين - ويبقيه معه في المخفر طوال أسبوع كامل.

تنافقون حنونة البدوية وتهابونها رغم بغضكم الشديد لها وحسدكم إياها لمالها الوفير مما تجنيه من تعبها وشقائها.

تبجلونها كنبي حين تحل ضيفة في بيوتكم تداوي مرضاكم وتولد نسائكم وتقرأ طالعكم وتكتب لكم أدعية الرزق المجربة، وبعد أن تخرج تكيلون لها مختلف التهم والأقاويل.

أفضل من فيكم هو حسن المعلم رغم أنه كان من المفترض أن يكون عدوي اللدود. لكن الحق أولى أن يقال هو أخيركم وأطهركم وأنقاكم. فهو رغم حسن وجمال حسنة زوجتي والتي كان بمقدوره أن يستغل

هيامها به بسهولة ويظفر بها في خلوة لكنه أبى ذلك.

روت لي حسنة ذات يوم في ساعة غضب ذلك - وسط دهشتي - أنه رفض أن يلمسها - كنبي معصوم من الزلل - يوم تحرشت به في دار أخته سروة.

«لا شيء أخفيه عنكم فانتم فوق البئر وتحته».

أنا لست بخير منكم. أقر بذلك. لكني أفضل منكم على أية حال. فانا لا أنظر لجيوب الناس مثلكم ولا أخاف من مرهون اللوطي كما تخافون منه حين أتندر عليه وعلى شذوذه الجنسي - على مرأى ومسمع منه - حين يأتي للدكان.

أشرب الخمر وأبيعه في دكاني على من يدمنونه منكم لكني لا أصلي مثلكم رياء الناس. لا أصلي والسلام.

أنا لا أغتاب حنونة البدوية لأنها عطوفة علي أنا بالذات دوناً عن الجميع، بل لأنها تستحق التبجيل والثناء؛ فهي طاهرة لم تلوثها طباعكم القميئة وقريتكم الموبوءة بالنميمة.

ألم أكن محقاً يوم قلت لكم أن للقرية دكان ينقصها. دكان نميمة سيكون رائج البضاعة في قرية يدمن أهلها نهش لحم الناس وسيرتهم بالباطل.

وغير النميمة الغيبة والنفاق. أنتم متشبعون بأرذل الخصال.

أنا لا أغتاب أحد في القرية ولا أنافق غنياً ولا أحتقر فقيراً منكم. رجل أعمل في دكاني، وأخدم أبقاري بيدي رغم أنكم تعيبون على ذلك.

رجل كافي خيري فوق شري ولا أؤذي نملة. رددت جميل عمي ملا منيف الذي تبناني ورباني يتيماً على أكمل وجه. وعلي أن أتم مراسيم دفنه وعزائه ومن ثم يحلها ألف حلال بعد ذلك. لكني أفكر ملياً في أن أهجر قريتكم فيما لو قررت حسنة الانفصال عني حتى أرتاح من عذابي هذا والسلام.

٥

كاد نهار الشتاء القصير أن ينتصف حينه، بعد أن تسلقت الشمس فوق هامات النخيل، دون أن يأتي مفوض مرهون من مخفر الشرطة القريب من بناية المدرسة عند أول القرية.

بعث عمران برسول أخر يستعجل المفوض المتعالي للإسراع بالقدوم لإكمال الإجراءات. فالجثمان فاحت منه رائحة نتنة، بعد أن لفحته شمس الضحى طويلاً، وكان من الأولى زقه في قبره لولا إجراءات التحقيق. فإكرام الميت بدفنه في قبره لا بإطعامه لعيون حشد من المتطفلين يتمثلون به كفرجة العيد.

يكره أهل القرية مفوض مرهون أيما كره - رغم إنه واحد منهم - لتعاليه عليهم وتغطرسه المقيت معهم. طلته بينهم كارثة بحد ذاتها. لذا فهم يوم يتشاجرون لا يوجعهم ضرب هراوات بعضهم بقدر ما يتقززون من شكل مفوض مخفرهم المقيت حين يرميهم في سجن المخفر.

يعلم مرهون ذلك علم اليقين؛ لذا فهو منعزل عنهم سواء في عمله

كمأمور للمخفر، أو كواحد من أهالي القرية ثقال الظل فيها.

مرهون درس في القرية وأتم دراسته الابتدائية فيها، ولأنه لم تكن في القرية مدرسة ثانوية؛ أكمل دراسته المتوسطة في بلدروز عند عمته سكينة المتزوجة هناك.

تطوع في سلك الشرطة بعد أن أنخرط في مدرسة إعداد المفوضين في العاصمة بغداد وغاب عن القرية شهور قليلة للتدريب ثم عاد مأمور لمخفرها.

لم يتزوج حتى يومنا هذا رغم بلوغه الخمسين من عمره الذي قضاه كله في القرية، عدا تلك السنوات الثلاثة التي نقل فيها - بعد جريمة انتحار نومان في مخفر القرية - إلى بغداد كعقاب له على تقصيره المشين.

مصلحي لا يحب أحد من أهل القرية. وهو كباقي أهل القرية يملك بستان نخيل تحته شجيرات حمضيات ورثه عن أبيه بالقرب من داره التي - بعد أن سكن المخفر ليل نهار - ما عاد يزورها سوى لماماً لتذكر أيام الطفولة والشباب.

حين يأتي موعد قطاف التمر يستأجر مرهون - من أهل القرية - من يقطفه ويجمعه له من الأرض ليبيعه كوارد مادي يضاف لمرتبه الشهري الذي لا يعلمه سوى الله؛ لتكتم مرهون على عدد دنانيره كسر عسكري يحرص على عدم إفشاءه للناس.

يحرص مرهون أن يكون من يجمع له التمر من تحت نخلاته صبي

صغير حسن الوجه مليح القوام راق له بشهوة شاذ لا يردعه زيه الميري الذي ألبسته الحكومة له ودفع له مرتبه ليحمي حياة الناس وأموالهم وأعراضهم، لا أن يستغله – لخوف الناس منه – لإشباع رغباته المريضة وداء شذوذه السقيم.

فبعد أن يقطف له أحدهم تمر بستانه سيحاسبه بأجرته ويصرفه من البستان، ويأتي من بعد ذلك بالصبي ليجمع التمر الساقط بين شجيرات الحمضيات المكتظة في بستانه.

لمسة من هنا ومداعبة من هناك ودرهم بخشيش زيادة وتلويح بالطبنجة الميري عله يظفر بالصبي ساعة بين شجيرات البرتقال المتشابكة، أو على سرير مخفر الشرطة، تحت العلم ونسر الجمهورية وصورة الزعيم!

يعرف أهل القرية حوادث كثيرة لتحرش مرهون بصبية هربوا منه ومن بستانه ليحكوا لذويهم ما أراده مفوض المخفر الشاذ بهم. حتى إن بعضٌ رام أن يشتكيه لدى مأمور القسم في البلدة لكن مرهون هددهم بالتصفية مما جعل منهم يتكتمون على خبره.

لذا فأن أهل القرية كلهم يمقتون مرهون ولا يسمحون لصبيتهم من الاقتراب من مخفر القرية لأي داع. حتى إنه أشيع خبر على إنه هو من قتل نومان بطبنجته ودبرها لأن تبدو كانتحار، لكي يداري علاقته به، والتي وصلت لحد أن نومان كان يبتزه ليدفع له مرهون المال مقابل تكتمه عما كان يفعله به في المخفر.

حكاية ذاع خبرها في القرية نبعت من دار حنونة البدوية. ثرثر بها أهل القرية في جلساتهم الخمرية عند دكان عمران وتعلولات الرجال في المضايف ما بعد العشاء.

لكن لم ير أي من أهل القرية مرهون ونومان يفعلون الفاحشة؛ لذا فأن أي خبر في القرية لا يشهد بالعين يبقى خبراً بحاجة لإثبات.

لكن الصبي الأشقر حسن الوجه، والذي يأتي به مرهون من بلدة بلدروز ويركبه خلفه على دراجة المخفر النارية الميري على مرأى كل أهل القرية، ويبقيه معه في المخفر أسبوع كامل له حادثة مشهودة مع مرهون رواها حسن المعلم يوم زار المخفر منذ عامين.

أقسم حسن بيمينه المحبب إليه «واللّه وتاللّه وباللّه» وهو يكرع قنينة البيرة الزجاجية التي يفضلها على العرق المحلي الذي يبيعه عمران في دكانه على زبائنه من مدمني الخمر، وهو يروي لثلة من شباب القرية أنه رأى مرهون وذاك الصبي بلا ملابس على سرير المخفر، يوم دخل عليهما دون استئذان.

تحجج مرهون بحر الصيف وحجج واهية غير مقبولة؛ بأنه كان يحقق مع الصبي بتكليف من قسم البلدة على سرقات أتاها ذلك الصبي هناك.

التحقيق بلا ملابس داخلية شيء جديد على حسن المعلم وشباب القرية عند دكان عمران. حتى صارت الحادثة نادرة من نوادر الثرثرة في ليالي الشباب وأمسياتهم عند الدكان.

لاسيما حين يأتي مرهون ليشتري الخمرة من دكان عمران المكتظ بشباب القرية على الدوام. حينها ينزع عمران جلابيته عنه ويصرخ «تحقيق» فيضحكون!

وأخيراً - وبعد طول انتظار - أطل مرهون بقامته الطويلة المحنية كنخلة معوجة الجذع من المنتصف. شق صفوف الناس يحمل بيده ظرف رسالة أبيض يمسكه بكفه بعناية وبضع وريقات سمر يحملها عنه شرطي جديد - ربما جاء للمخفر نقلاً من مكان ما - رافقه اليوم كأول إطلاله له في القرية.

بوجهه الأحمر الأمرد حتى من حاجبيه، بدا مرهون كحبة طماطم ناضجة جاهزة للقطاف. يلبس ملابسه الميري الكاملة بلونها الخاكي وبوته الأجرب من لونه بعد أن أنتعله البخيل لسنوات طوال دون تغيير.

عدل مرهون نطاقه المتهدل مراراً لثقل طبنجته الميري التي يعلقها بحزامه كعنق تمر كبير يتدلى من نخلة فتية معطاء. نحيف القوام كإبرة ألبسها أحدهم هذا الزي الميري الفضفاض.

يعرف مرهون ملا منيف - رغم عزلته عن الجميع - جيداً كواحد من أهل القرية ويعرف طباع الرجل وحياته من أولها حتى ما آلت إليه نهايتها بهذا الحبل الغليظ الذي يراه ملفوف - بحزم - حول عنقه الهزيـل.

فحارس سجون ميري متقاعد يقارب مفوض الشرطة في والضبط والربط والطباع. يعلم مفوض مرهون أن ملا منيف كان دقيقاً كساعته التي يتلألأ سيرها المعدني الفضي في معصمه، لا بل وأدق منها، وهذا

الظرف الذي بيده أخر دليل على دقة الرجل الحصيف.

الجلبة والصياح ولغط الأطفال العابثين في فناء الدار؛ سببت التشويش لأفكار المفوض البغيض فأخذ يحك رأسه من تحت السيدارة الرثة التي يضعها على رأسه الأصلع من أي شعر، لأجل أن يستجمعها. وفي لحظة تأمل حك رأسه ثانية وأتخذ قراراً على ما يبدو كان حاسماً؛ بدا ذلك للجميع من تعابير وجهه التي تغيرت في تصميم.

نادى على الشرطي اليتيم الذي جاء معه من المخفر والذي لولا سواد وجهه وبشاعة خلقته لأتهمه أهل القرية بتهمة اللواط مع مرهون. غير إن البعض من شباب القرية سيفعلون في مزاحهم عند دكان عمران!

هب إليه شرطيه الضئيل كالنسر فوشوش معه كلمات قليلة كادت عيني مرهون الماكرة أن تخرج خلالها من محجريها؛ فسحب ذلك الشرطي أقسام بندقيته الانجليزية وأطلق منها عياراً نارياً وحيداً في الهواء أتى أكله من فوره حتى قبل أن يهدأ صداها المتكسر في أرجاء القرية المترامية الأطراف. حتى أن الناس هربوا وتركوا فناء الدار قبل أن ينطق ذاك الشرطي عبارة «تفرقوا» بصوته الغليظ.

رصاصة فرقت الجميع وجعلتهم يفرون لبيوتهم، حتى إن عمران نفسه هم بالهروب معهم لولا أن جذبه مرهون من ياقة معطفه ليذكره بأنه صاحب البيت وإن عليه المكوث هنا للتحقيق لا هؤلاء المتطفلين الهاربين.

خلت الدار - بلمح البصر - من الجميع سوى من مرهون وعمران

وجثة ملا منيف المتمايلة في حبلها كثوب منشور على حبل غسيل.

دار مرهون حول جثة ملا منيف مرات عدة، فك عقدة شال زوجته نواره الذي كبل به كفيه بنفسه، وأمسك بكفه اليمين المتخشبة وتفحصها بعناية. حتى إنه قربها من عينيه بتمعن شديد. رفع رأسه وتبسم لسبب ما!

فطلب عمران على إنفراد وتكلم معه قليلاً قرب الجثة، ثم دلفا معاً لحجرة عمه ملا منيف بعد أن أفرغوها من نسوة جئن للفرجة مدعيات أنهن قدمن لواجب العزاء. طلب من عمران أن تبقى زوجة عمه نواره لكي يحدثها بحضوره على إنفراد.

بعد أن تحدث مع نواره قليلاً هجمت حسنة عليهم - دون استئذان - للحجرة وراحت تكيل التهم - كما توقع ذلك عمران وغيره - لنواره دون سابق إنذار. مرهون بقي صامتاً لا يحدث أي أحد حتى عمران المتخاذل عن ردع زوجته الوقحة بامتياز.

قال مخاطباً حسنة وهو يفتح الظرف الأبيض الذي كان يحمله ويحرص عليه حين يديره بين كفيه بين الحين والحين، كما يحرص حامل الطفل الرضيع على أن لا يسقط من بين يديه:

«أبوك بعث لي برسالة رماها لي فجر هذا اليوم من تحت باب المخفر»

كانت الرسالة بخط يد ملا منيف كواحد من بين القلائل في القرية ممن يعرفون القراءة والكتابة وممهورة بإمضائه في أسفلها وكانت كما قراها مرهون كالأتي:

«أنا انتحرت لسبب لا علاقة لأحد من أهل القرية به. نواره وعمران وحسنة وكل أهل القرية براء من دمي. لي سبب خاص للانتحار. على كفي اليمين أقرار مني بصحة الرسالة هذه، أرجو أن تشرح ذلك يا مفوض مرهون للجميع. أسأل الله أن يغفر لي ذنبي».

طلب مرهون من عمران أن ينزل الجثة ويدفنها لأن القضية مقيدة برمتها - بعد رسالة عمه لمرهون - كانتحار. فهي لم تكن جريمة ولا هم يحزنون.

٦

في أكوام آلافك والباطل ستنبش حسنة - سليطة اللسان - تهمة لنواره لتلصقها لها على أن تصلح كدافع لانتحار ملا منيف. وهي في ذلك الباب بارعة لن تعجز عن غايتها تلك وإن تطلبها الأمر للافتراء.

يقال في قرية إمام عسكر لو عجز إبليس عن إغواء أحدهم فعليه أن يلجأ لحسنة بنت ملا منيف. فهي منذ طفولتها القصيرة التي فارقتها لطيش وشبق المراهقة سريعاً - بشكل غريب - محتالة لا تعجز عن تلفيق التهم للناس.

هذا المسكين عمران جاء ليحمل كومة أشواك على ظهره بزواجه منها. فهي مرة كالحنظل وناعمة كثعبان. نمامة كذابة، وفي مراهقتها سلمت نفسها لبائع جوال يفوقها بالعمر، قبضت عليها أمها - بالجرم المشهود - بموعدهما الأخير معه في زريبة البهائم خلف دارهم وكسرت يدها قبل أن تكسر وجهها ووجه أبيها في القرية.

الرجل كان معذور. فهي جميلة حسناء لعوب قفزت من طفولة قصيرة

نحو مستنقع شبق الرذيلة دون أن تمر ببراءة الصبا ولا بعفة البلوغ. الرجل أكل الضرب المبرح برحابة صدر من سنية، حتى إنه لم يشتكيها في المخفر بعد أن فقئت عينه بالحديدة التي شجت بها رأسه، وكسرت بها ذراع بنتها النزقة العاهرة. ماذا سيقول لشرطة المخفر؟ تلفع بستر عاره وداری به على جريمته بعد أن غادر القرية بعين مفقوءة ليحرم على نفسه دخولها من بعد ذلك إلى الأبد.

وما أن بلغت تمام البلوغ حتى تعلقت بحسن أبن المختار طه النوشي وعشقته حد الهيام. ولولا أن حسن هذا شاب على خلق رفيع لكان وقع المحذور بما لا يحمد عقباه. فهي مع البائع الجوال سلمت جرتها وتداركت أمها نزقها قبل وقوع المحظور. قبل وأحضان ومداعبة من فوق الملابس وتمحك آمن. أما حسن فهي كانت ستسلمه - لو قبل بالمبدأ - رقبة أبيها وأمها قبل أن تسلمه جسدها كله، لو شاء أكل جسدها حية بسكين ماضية دون أن تتألم أو تعترض.

أما وقد سترها أبوها بعمران وحفظ لشيبته هيبتها ولعائلته حسن سيرة وسلوك نسائها، فأخذت تتوارى خلف ذاك الستر وتديم حبها لحسن المعلم - علانية أمام كل أهل القرية - دون خجل.

ماجنة لو خير إبليس لأن يتقاعد ويترك من بعده خلفاً في عمله المشين لما أختار غير حسنة بنت ملا منيف لهذه المهمة، التي ستبرع فيها بالتأكيد.

بئر عطنة من المفاسد وقذف التهم للناس بالباطل، تسلية لها من بعد

أن حرم عليها والدها تجاوز عتبة الدار، بعد خبرها مع البائع الجوال.

ربما بسبب العزلة وعدم تقرب نسوة القرية منها لسيرتها غير المحمودة، ولفشلها في إغواء حسن المعلم وإيقاعه في شراك حبها أخذت تدمن أكل لحم الناس وتعلك سيرتهم أفكاً بالباطل دون أن يردعها عن غيها رادع ولا صاد. غير أن ما غذى داء النميمة لديها في الآونة الأخيرة، وما رباه في نفسها السقيمة هو زواج أبيها من نواره.

كان ملا منيف قد أتم كل شيء دون علم حسنة وجاء بنواره كعروس للدار ساعة مغربية - دون سابق إنذار - تحت جنح التكتم والسرية التامة عن حسنة دفعاً للشر والبلاء. فالرجل الحاذق أعلم ببنته الغيورة من غيره.

مع حسنة كل الاحتياطات واجبة لكن مع لجوء الرجل لجلها وزاد عليها حيطة التكتم خاب فأله! فحسنة قلبت - بمكرها ذائع الصيت - الطاولة على رؤوس الجميع.

نواره يتيمة الأم والأب ولي أمرها عمها المختار طه النوشي الطماع قبل بزواجها من شيخ يكبر أبيها يوسف الميت عمراً - حتى مع احتساب تلك السنين التي قضاها في قبره - بعد أن لوح له ملا منيف بمبلغ مئة دينار كاملة أمام عينيه كهدية له لإتمام الصفقة على خير وسلام.

في القرية لا تحظى اليتيمات بزيجات معتبرة؛ فالأعمام والأخوال لن تعدو هذه اليتيمة بالنسبة إليهم إما حمل زائد يؤرقهم عليهم التخلص منه بأي وسيلة، أو إنها بهيمة يبيعونها لمن يدفع لهم ما يطلبونه من ثمن.

لا يهمهم إن كان من تقدم لخطبتها شيخاً مسن أو أعور عين. سيء خلق، سمج طباع لا يهم. المهم هو التخلص من الحمل الزائد. كما إنها هي ليست بنته سروة ليزوجها من شاب صغير من عمرها كعثمان ابن مجيد حائك السجاجيد.

بهيمة باعها لشيخ مسن مقابل ما دفع له من مال وسلمه إياها بعد أن أخرجها من داره بعباءتها التي عليها وقت الغروب، بعد أن حرص على توقيعها - قبل يومين - على تنازل من حصة والدها المتوفى يوسف في سجلات الزراعة حفظاً لأرض الآباء والأجداد أن لا تؤول - بالميراث - للغرباء.

زفة مقتضبة ودموع تماسيح ذرفها المختار طه النوشي مدعياً أنها دموع لوعة الفراق والكثير من الرياء. ليلة ظلماء تخبطت اليتيمة بين نار كادت أن تأتي بأجلها وبين تهمة الطعن في شرفها العفيف؛ لولا حنونة البدوية التي شهدت لصالحها.

فما إن دخل ملا منيف مع عروسه للدار حتى قفزت حسنة من فوق السور تسأل عن خطب الجلبة وزغاريد نسوة رافقن نواره لبيت زوجها لإتمام مراسيم الزفاف.

عرفت بالأمر. جالت في حجرتها برهة. جمرة رماها أحدهم في جيبها أخذت تكتوي بها. فكرت قليلاً! حسنة يوم تكيد لأحدهم تجثم قليلاً في فراشها منكفئة على وجهها لتتدبر كيد تحيكه لمن رماه قدره الأسود في طريقها. لم تلبث طويلاً إذ إنها ماكرة لا تغلب.

يقال أن إبليس يعرج على من مثلها ليلهمهم مكرهم. لا بد إنه – يوم تنبه لما خططت له – قبل أن يوسوس لها بمقترحه، نزل عن بغلة الباطل التي يركبها وتمشى نحوها مشية توبة نصوح وسلمها لجام البغلة ورحل لمن هو أحوج بالغواية منها.

تمتمت كلمات لابد أنها خرجت من فمها فحيح حية رقطاء ثم خرجت من دارها تحمل بيدها بطل ملئ بالنفط، وتوجهت نحو ساقية بستان أبيها المجاورة لشباك حجرة نومه وعروسه نواره. لا تغلب أبداً عاهرة لا يلويها مكر ولا تعجز عن حيلة.

مستترة بشجيرات الساقية المكتظة – كأجمة – تقربت من شباك الحجرة ومن نفط البطل بللت الستارة من كسر تحفظه في زجاج النافذة وأوقدت النار بها وهربت عائدة نحو بيتها مستترة بالعتمة التي هجمت سريعاً على القرية.

صوت عويل نواره وصياح أبيها ودخان الحجرة التي احترقت عن بكرة أبيها؛ جاء بمن كانوا عند عمران في دكانه وبنصف أهل القرية من بيوتهم حتى أولائك البعيدين. أما حسنة الماكرة فقد جاءت بعد أن أخمدت النار لتشعل ناراً أخرى في ليلتها الدهماء تلك.

سألها عمران عن سبب عدم نجدتها لأبيها الذي كادت النيران أن تقتله هو وعروسه قبل قليل، فألقت عصا أفكها المتلوية كثعبان تلوى في محضر إجابتها:

«لاحقت مشعل النار بعد أن هرب ناحية بيت جميل جبارة خلف دار

أبي».

يعرف أهل القرية أن سليمان أبن جميل جبارة كان قد عشق نواره في سابق الزمن يوم كانت صبية يترقبها على الشريعة يوم تخرج من دار عمها لجلب الماء بالدلو من نهر الروز.

حب مراهقة عذري طمست سيرته الأيـام، لكن شجار المختار طه النوشي مع جميل جبارة وولده سليمان حد الاقتتال بالعصي والبنادق قبل أشهر عاد بالمحو من الحكايات؛ فأشعل ناراً أخرى في رأس ملا منيف ساعتها.

تمتمت حسنة اللعينة باسم سليمان وأوصافه يوم زعمت أنها ركضت خلفه، وأقسمت على فريتها تلك ألف يمين وقسم باطلين. هم ملا منيف بحمل سلاحه البرنو الذي هرب به من لهب النار التي أكلت حجرته ورام التوجه من فوره نحو بيت جميل جبارة، لولا أن دخلت حنونة البدوية على الجمع من الباب المشرعة.

أخذت ملا منيف على إنفراد وتحدثت معه بضع كلمات، فرمى بندقيته من يده وهوى بعصا غليظة فوق رأس حسنة كادت أن تريح الناس من شرها لولا أن درئها عمران عن رأسها بذراعه المفتولة وأخرجها من أمام والدها نحو داره.

الماكرة بنت ال...؟ عرفت من أين تؤكل الكتف. لولا حنونة البدوية قد حلت المعضل يوم شهدت أن سليمان أبن جميل جبارة كان يكيل حنطة أشتراها أبوه منها في دارها وقد تركته هناك رفقة عاملهم ستار المخبول

لوقع قاتل ومقتول في القرية تلك الليلة.

وزيـادة في التأكيد أخـذت حنونة البدوية ملا منيف معها لدارها ليطمئن من ذلك بنفسه ويهدأ باله.

عـاد ملا منيف من دار حنونة البدوية والشرر يتطاير من عينيه وأقسم أن يقتل حسنة لولا أن منعه عمران من ذلك مجدداً.

هذا كله وحسنة لم تعرف بزواج أبيها من نواره إلا قبل ساعة! تخيل لو أنها عرفت بذلك قبل أسبوع كما هو حال زيجات الناس في القرية من مراسيم خطبة وعقد قران؟

قل إنها كانت ستحرق القرية كلها بأهلها لتتهم نـواره بزمرة من شبابها تلطخ بهم شرفها! أي ماكرة حسنة وأي مخاتلة؟

الخرزة الزرقاء التي أعطتها حنونة البدوية لملا منيف كتعويذة ليقوم بواجب عروسه، في ليلتها الأولى، باءت بخيبة أثرها أمام إبليس القرية المتجلي على شكل حسنة بنت ملا منيف ومكرها.

وهي تضرب على رأسها من قبل والدها، لمحت تلك الخرزة في فرش متناثرة خلصها أحد الشباب من هبوا لإخماد النار التي أشعلتها في حجرة أبيها فصرخت عالياً بأبيها:

«تضربني من أجل سحارة وهذه الخرزة الزرقاء تشهد».

في خضم العرس المنقلب نحو عزاء ضحك ملا منيف وتبسمت حنونة البدوية في كتمان لأمر الخرزة والغاية منها.

بحنكة ودراية أقفل ملا منيف باب الكلام على ما حدث. شكر الناس

وشيعهم لباب الدار، وعاد لينام هو عرسه في الحجرة الأخرى يجر أذيال الخيبة؛ فأبكر منذ الفجر نحو دار حنونة البدوية لتسعفه بما يحفظ به ماء وجهه الذي أريق بعجزه عن القيام بواجب عروسه طوال الليل.

لذا فأن كل من رأى ملا منيف يتدلى من حبله الذي شنق به نفسه تأكد أن حسنة ستتهم نواره بقتل والدها كما يعرفون أنفسهم وأسمائهم. وأولهم ملا منيف نفسه الذي أنقذ المسكينة برسالته لمرهون، أقر فيها بعدم مسؤولية نواره وغيرها من دمه قاطعاً بها كل نزاع قد يقوم من بعده.

تدارك الرجل - بحنكة - لما تنبأ به، وخيراً فعل برسالته لمرهون، وأخرى قرأها حسن المعلم على الناس في خاتمة مجلس عزاءه حلت نزاعات أخرى كانت لتثور لولا تحوط الرجل الحصيف.

٧

في القرية النائية بأهلها عن الحداثة، والمختبئة وراء هدوء ورتابة نمط عيشها المتكرر - بشكل يومي - بإسفاف ممل، فيما لو استثنيا شمساً تشرق نهاراً وتتوارى عن أعين الناس ليلاً محدثة تغيراً طفيفاً في ذلك النمط الكئيب، فأن شنق رجل لنفسه فيها بحبل سيكون حدثاً - ذا أهمية مفرطة - يعلوا على كل مقام ومقال فيها.

سينادي حران مؤذن الجامع للفرائض دون أن يحظى فيها بنفر من أهل القرية يركبه خلفه في صف صلاة في باحة مسجد القرية الطيني الصغير.

أهل قرية دأب الموت على أن لا يمر في بيت منها إلا وقطف روح أخر في الجوار، فأن ما جرى لملا منيف ذلك اليوم سيدفعهم - بالتأكيد - نحو ترديد أسئلة مختلطة بخوف أوهام لا يتقبلها منهم عقل ولا يرتضيها أي منطـق.

من سيكون التالي؟ أو هل سيجر ملا منيف أحد من بعده؟

هذه الأسئلة وغيرها ويزيدون عليها طقوساً يقبلونها هم بالذات دون غيرهم من أهل قرى نهر الروز للتجربة، وخير برهان ما لمسوه في أزمان مضت قاربت حكاياتها الخيال.

لذا فهم حين يحل الموت بأحدهم سيوقف الأحياء منهم عجلة الزمن للترقب ومعرفة من هو سيء الحظ من بينهم، الذي سيبطش به الموت من بعد هذا الذي يتجمعون في مجلس عزائه، مثل قطيع غزلان دأب السبع على أكل إحداها بين الحين والحين.

وهم حين يجتمعون هناك، سيمزجون ذاك الخوف بمتع يحصلون عليها تحت خيمة العزاء دون غيرها من المناسبات. فهم أهل قرية يجلون الموت ومراسيمه على الفرح والغبطة رغم الترح والكدر المرافق لمجالس العزاء. هذا لغيرهم أما أهل قرية يدمنون الخوف من الموت حد التشبع منه؛ فهم يتسلون بطقوسه وكل ما يتعلق به تحضيرات.

فمع أول وتد دقه عمران لخيمة عزاء عمه ملا منيف - قبالة داره جوار نهر الروز - تهافت المعزين على مجلس عزاء أبن قريتهم من كل حدب وصوب.

سكان البيوت القريبة في القرية وما يجاورها حضروا للخيمة سيراً على الإقدام. أما أهل القرى البعيدة فقد جاءوا للقرية راكبين على خيولهم أو حميرهم لواجب العزاء.

النسوة المتشحات بالسواد بدين - وهن يمخرن الأزقة والطرقات وصولاً للبيت المنكوب - كغربان الزاغ في موسم نثار القمح والشعير.

منهن من جئن لرد الدين لسنية في قبرها أو لحسنة في تجوالها المحموم – للتسلية والتشفي بمصائب الناس – بين مجالس العزاء.

بعضهن قدمن يندبن لنواره حضها العاثر بعد عرس لم يكتمل تمام يومه العاشر بعد. غير أن رغبة الشماتة بالفاجعة من قبل معظمهن ستكون بادية على الوجوه رغم حرصهن على سترها بدموع وعويل واجب العزاء.

الرجال: خيمة تظلهم وسجاجيد صوف ووسائد من ريش وثير يتكئون عليها بتكاسل من أول الصباح وحتى يأخذ الله شمس نهاره، مع أكواب شاي دافئة وخرفان تنحر وقدور تفور. ما ألذ مجالس العزاء لأهل القرى بحسب توقيتها؛ فقمحهم نثر في مزارعهم منذ شهرين روته أمطار أول الشتاء وزاده الروز برية من خيره، حتى استحال زرع أخضر لا حاجة له لماء ولا تقليب.

بهائمهم متخمة تلوك تبناً وشعيراً مسمناً، عامرة به صوامعهم تغنيها عن الرعي البعيد. متعة ما بعدها متعة لثلاثة أيام طوال يقلبون خلالها ثرثرة أحاديث كانت حبيسة في صدورهم، وتبادل الأخبار الطازجة مع أهل القرى البعيدة الذين لا يرون بعضهم سوى في هكذا تجمعات.

ولائم دسمة عامرة بالشحم واللحم ورز العنبر بالدهن الحر والثريد. ماذا يطلبون من الله أزيد مما ينالونه في مثل هكذا كرنفالات؟

للنسوة: متعة سوق نميمة ساعة زنقة مع قصاع الرز باللحم والثريد. دموع تذرفها الواحدة منهن على ميت مات لها منذ عهود وتدعيها أنها

ذرفت على حسن خصال ميت أهل المصاب. وحتى اللواتي لم يمت لهن عزيز من قبل يبكيهن ستكون ترانيم قوالة مستأجرة بصوت شجي رخيم - تؤدي عملها بإتقان - كافية لهن لذرف دمعتين لواجب العزاء.

تأتي الواحدة منهن بدزينة بناتها العوانس معها علهن يظفرن بقبول لدى أم نوت تزويج أحد أولادها حاضرة في المجلس للاصطياد!

حفل تعارف أكثر منه مجلس لطم وعزاء. وقت يقتل مع خدمة عشر نجوم خير للرجال من التسكع عند دكان عمران. وللنسوة قلب قدورهن وتعطيل مواقدهن عن الطبخ - بما يفضل من طعام أيام العزاء - سيكون كافياً لترى وجوههن وقد علتها ملامح غبطة بخيل جائع عزمه أحدهم في سوق البلدة على شيش كباب.

الأطفال: لو قبضت على أحدهم لتسأله عن سبب عبثه بأغراض أهل الميت وحاجياتهم الثمينة في فناء الدار لصرخ باكياً متهماً إياك بقرصه حتى ولو لم تمسسه، حتى وإن تكون قد تكلمت معه بكل لياقة من بعيد! سيغيبون جماعية عن دروس مدرسة هم أصلاً لا يحضرونها بقية أيام الله وسط تذمر أستاذ حسن المعلم ومدير المدرسة الذي لا يأتي لمدرسته من البلدة سوى يوم واحد في الشهر أسره مفتش التربية أنه سيزورها في ذلك اليوم، وأن عليه أن يكون هناك.

سيتساءل أستاذ حسن عن العشر وجوه المواظبين على حضور الدروس من بين مئة مسجلين لا يرى سوى أسمائهم في السجلات، ويجيب نفسه بأنهم حتماً هناك في مجلس العزاء. يقول حين ذاك:

«لو أن أهليهم بعثوا لي بقمل رؤوسهم المحتشد في شعورهم كعيون النمل لكان أفضل هذه الجدران الخاوية من التلاميذ».

النسوة للنميمة حاضرات وكذا الرجال! دكان النميمة الذي طالب به عمران وأقترحه للقرية ساعة سكر وتندر على طباع أهلها ربما هو مجلس عزاء أحدهم دون أن يميزه قبل تندره ذاك.

الأطفال يعبثون. سيحفظون ما رددته القوالة من ترانيم بدقة كما لو أنها دروس مقررة عليهم، يعيدونها لأشهر في القرية على شكل زفات متنقلة يؤرقون بها منام الأحياء وسكينة الأموات.

غير إن أستاذ حسن المعلم سيطلب منهم ترديد بعض مما حفظوه من تلك الترانيم، لاطماً على الرأس والخدود، يوم يسأل واحد منهم عن حاصل جمع واحد فوق واحد فيجيبه ذاك الممتحن من تلاميذه أن الحاصل هو خمس.

لذا فأن كل القرية - عدا بهائمهم التي سيحبسونها في زرائبها - سيكونون في مجلس العزاء.

عدا جميل جبارة الذي شوهد جالس جوار نهر الروز على الجادة يترقب قدوم أحد مالكي السيارات الشحيحة من القرى المجاورة عله يركبه معه لسوق بلدروز ليلحق بموعده مع تاجر الحبوب.

غير إن اتكاءه طويلاً على كوعه هناك من بعد الكارثة حتى انتصاف النهار ولفه للعديد من سجائر التبغ وتدخينها، دون أن تمر سيارة من تلك التي كان يترقبها أدى به للعودة لزوجته موزر خالي الوفاض.

لاحقاً بدل جميل هذه الجلابية الجديدة التي يدخرها لرحلات السوق بتلك المبقعة بحروق جمرات سجائره، وأتكئ طويلاً في مجلس العزاء ناصباً مجلس أخر يرثي به حضه العاثر بعد فوات موعده مع تاجر الحبوب.

٨

ومن بعيد لاحت للحاضرين في دار ملا منيف من عليها أن تكون هناك منذ ساعة. حنونة البدوية جاءت من دارها البعيدة، تعلو وجهها علامات كدر مختلط بالفزع. دخلت خيمة النساء وما كادت تجلس حتى شرعت بالتوجيهات:

نواره ألي بديك الناعق واحرصي على صنع حساء بالحامض قبيل غروب الشمس صبيه في صحن المرحوم وضعيه قرب عتبة الباب. حسنة أذهبي لعمران؛ أريد دزينة شمع وهيل وكيس قرنفل وتمر مكبوس.

رحمك الله يا ملا منيف! كان دقيقاً في مواعيده كساعته الفضية التي كان يتباهى بدقتها وتبين أنه يفوقها في دقتها يوم حسم أمر الفتنة التي كادت أن تقوم بعد موته.

أنا لست من القرية وأهلها. لكني جوار سيدنا الإمام عسكر وأعلم ما لا تعلمون! الروز يجري لمستقر له وأنتم يا أهل قراه، ومن تشربون من ماءه الرقراق عن ذلك غافلون!

«قولوا البدوية قالت ذاك»

نحن في عام الثورة بعد. لم تمض سوى أشهر ستة ودماء أبناء سيدنا رسول الله لم تجف بعد بقصر الرحاب. الزعيم تاج رؤوس الناس لم يأمر بذبح الأبرياء لكن حصل ما حصل وكان ما كان. لكن الدم الذي سال في قصر الرحاب سيتبعه دم كثير يملئ بغداد.

«قولوا البدوية قالت ذاك»

لكن الزعيم رسم بخط يده رسم سيجري على هامات الناس: شوارع، وترع، وسواقي، وأراضي تنزع من أهلها لتوزع على غيرهم. أنا الغريبة في القرية التي تستكثرون علي سكني في خرابة الطين جوار جدي الإمام عسكر ستملكني الحكومة وأنا في قبري أرضاً ستزرعها أبنتي سميرة من بعدي في خلاء القرية الغربي، وستحرثها وتنثرها قمحاً وشعيراً بما هو قريب.

«قولوا البدوية قالت ذاك»

سيقل الملح والبياض، سيرفع عن نسائكم الحياء. سيمشين مع الرجال سافرات في الأسواق بلا عباءات. ستعلو فوق البيوت رؤوس الشياطين وتقوم الفتن في هذه البلاد ويسيل الدم.

سيأتي عام الطوفان بما هو وشيك وسترون ماء الروز يغرق سقوف المنازل ويعانق هامات النخيل. ثم يعود النهر حنوناً مع الناس بضع سنين.

ومن بعد ذلك سيأتي رجل ليحكم البلد يكنيه الناس بسم أمه يركب مركبكم لثلاث بحور. كل بحر منها أمده عشرة أعوام. بحر خير فيه

يرعى فيه الخروف عشبه جوار الذئاب. بحر نار يأكل من البلد خيرة الشباب. وأخيراً بحر الجوع.

«قولوا البدوية قالت ذاك»

حين ينتصف بحر النار سترون النهر يموت! الموت حق. لكن قريتكم هذه! الموت فيها لغز عجيب. المصائب تلوح في الأفق أكاد أراها كما أرى وجوهكن يا غربان العزاء.

أنا من بادية ترسخ كنت هناك أربي الإبل وأعيش من خيرها عيش كفاف. يتيمة ربتني جدتي لأمي طوعة رحمها الله. علمتني سرها وعلمتني كيف أداوي الناس هناك بالكي وسقي الأعشاب.

أقرأ طالع الناس وأرمي الودع. أحجاري الملونة هذه أورثتني إياها جدتي قبل موتها رحمها الله. وسأورثها من بعدي لسميرة لتكمل المسيرة التي ستنتهي بها حتماً. فهي بعد أن رفضت الزواج من أي رجل، وبلغت اليوم عمراً لن يقبل بها أحد للزواج، سينقطع نسلنا ولا شك.

جدتي ماتت بعد أن شاخت وهرمت، لكنها نبأتني في ذاك اليوم عن رحيلي إليكم، وعن انقطاع نسلنا هنا في قريتكم! في الليلة التي ماتت فيها رأيت في المنام قبة خضراء وسط غابة نخيل زهدي عيط جوار نهر ماءه سلسال.

هاتف ناداني عن يميني صاح شدي الرحال نحو الولي الصالح عسكر عليه السلام. أنتم لا تعلمون. ترون أحلامكم ولا تعيرونها أي أهمية. تسمونها أضغاث. أما نحن البدو فلا نتجاهل الرؤية. لذا فحين ماتت

جدتي دفنتها وبعت أبلي وركبت على ناقة استخلصتها لي كركوبة من بين أبلي وسرت أنا وابنتي سميرة نحوكم.

لم أسأل أحداً في الطريق عن قرية فيها مرقد الإمام عسكر. الناقة من قادتني نحو قريتكم. النوق مقدسة. كرمها الله أن باهى بخلقتها بقية خلقه. وإحداها قادت الرسول لحل فصل. بركت ناقته حيث شيد مسجده وداره. البدو يتركون لها العنان لتجد لهم الماء والديار. لذا فأن القوافل - في عهود لم تكن هناك طرقات معبدة - لم تته أي منها في صحراء. وأنا يوم وشوشت للناقة في أذنها سارت بنا نحو القرية دون أن تتوه.

لكنكم لا تعبئون لأمر النوق وتربون الخيل للركوب وتجلونها كما تجلون أهلكم وبنيكم. الناقة في الدار بركة، وهذه الناقة البيضاء التي ترونها في باحة داري هي من نسل الناقة التي جئتكم راكبة عليها. لم أبعها ولن أبيعها ما حييت حتى أني أوصيت سميرة بذلك.

شجر التين والزيتونة في الدار خير وبركة. وكذا النخيل. على الأقل نخيلكم كثير.

لكنكم في الموت وخباياه جاهلون. تتنادون أمواتكم بأسمائهم وهذا ما يجر الموت والمصائب عليكم وبالاً لجهلكم. علمتكم طويلاً بلا جدوى. أخبرتكم أن الموتى يجولون أيام سبعة في حواريكم جوار بيوتهم وأشيائهم الخاصة بهم.

الأتقياء منهم مجابون. يسألون مليكهم القابض عليهم مهلة يتجلى

لكم فيها بشراً سوياً فتجزعون.

ستار ابن حران المؤذن ليس ممسوساً بجن كما تظنون. ذهبت بعقله زوجته مروة يوم رآها عائدة من موتها. ناداها فعادت. عشقت زوجها في حياتها وحزنت يوم فارقته بعد موتها. ولأنها تقية؛ فقد دعت ربها واستجاب لها، فخف عقل المسكين يوم تجلت له بهيئتها، حين دلفت عليه من باب الحجرة. عاينته وتحدثت معه وأخبرني أنه يرى زوجته ويكلمها كما لو تكون حية في داره. ستار ليس ممسوس. لو كان ممسوساً لأخرجت الجن منه وأنتم تعرفون حنونة البدوية، لا يغلبها تلبس الجان.

تدفنون موتاكم بلا خبرة ولا تحوط فيضربكم الموت من جديد. الموتى يطلبون – في حسرة الحساب – حاجات تجاب لمن هم أتقياء. الأم تطلب من ربها أن لا تفارق ضناها فتجاب بموتهم من بعدها سريعاً لتتقرب منهم. حليمة سألت ربها أن يجمعها بزوجها وبنيها فاستجاب لها ربها بموت زوجها وثلاثة من بنيها، لولا أن بعثني الله لأخلص عدوان البناء من أجله المخروم.

فالأجل نوعان. محتوم لا طاقة لأدعيتي وطقوسي عليه. لم يغني جدتي طوعة – من أجلها المحتوم – لا دعاء ولا سقاء. أما أجال عبثكم بموتاكم كلها مخرومة، ترفعها عنكم طقوس معينة والدعاء بإذن الله.

أولم يرسل الله غراباً لأبينا قابيل يعلمه كيف يواري سوءة أخيه هابيل؟ غراب علمنا أن نحسن دفن موتانا وندعي من بعد ذلك أننا خير البرية.

المرحوم الذي تجتمعون اليوم لعزائه! عنده سر. الله وحده يعلمه. ليس كل مخبئ بأمر الله تسبر غوره أحجاري. بالأمس رأيت " بسم الله... المرحومة سنية. بسم الله... تجول في دارها! كم نصحت المرحوم أن يذبح خروفاً للونيسة حين ماتت سنية قبل شهور. لكنه بخيل رحمه الله لم يأخذ بكلامي.

الخروف فدا به الله إسماعيل (عليه السلام) من الذبح. رأيت بسم الله.. المرحومة تقف تحت شجرة الأثل العملاقة تحمل بشمالها حبلاً قنب وبالأخرى كفناً رمادياً. الحبل هو نفسه! الكفن - لولا أني فززت من نومي مرعوبة - لجزمت أنه ما كان يلبسه المرحوم من جلابية حين تدلى من حبله الذي شنق به نفسه فجر هذا اليوم.

عنده سر ضربت له ودعي مراراً لكنها عجزت عن فك طلاسمه. لكني رأيت عقدة يحلها أحدهم من بينكم تكشف المستور لكن لا علم لي متى.

أقريب؟ أم بعيد؟ لا أعرف. العلم عند الله.

لكني أرى مياه تفور من نهر الروز. وناراً تلتهب. وقلوب مملوءة بالغل. وأخرى عامرة بالإيمان. أرى وجوه كظيمة وأخرى ستكظم. جيوب دافئة ستخوي من مالها. هرج ومرج.

«قولوا البدوية قالت ذاك»

من بعد ذاك. لا أمان لكم في بيوتكم نكالاً!

مشوشة لم أعد كعهدي. أكملت عزائكم وأديت الواجب. قريتكم

عصية على أحجاري. أودعتكم السلامة.

كذبت عليهم! لم أخبرهم الحقيقة! الحقيقة مرة لكن أحجاري تحذرني أني لو بحت لهم بما كشفه الله لي سأغضبه. الموت حق! وعذاب الله بهم حق. سأدع الأمور لباريها وهو أعلم بها من خلقه.

٩

مساء اليوم الثالث والأخير من مجلس عزاء ملا منيف، يجتمع رهط من أهل القرية - الصالح منهم والطالح - في خيمة العزاء لتناول وليمة العشاء الأخيرة. الوجوه المألوفة من أهل القرية مع معارف الميت وأقربائه هم فقط من يحضرون خاتمة العزاء. الدائرة الضيقة للميت كما يقال.

المختار طه النوشي كبير القرية وشيخها المتصرف بأمرها حاضراً بقوة بزعامته للرهط جلس - بلا منازع - متوسطاً للمجلس كسبع ضيغم لولا المغص والإسهال.

فهو من فرط أكله للشحم واللحم - بنهم - رزأ بإسهال جعل منه أضحوكة في المجلس إذ إنه كان يتنقل بدأب بين الخيمة و الخلاء مثل عصفور نشيط يجلب القش لبناء عشه من حقل بعيد.

جميل جبارة وولده البكر سليمان كانا من بين الوجوه المعتبرة ذوات الشأن في مجلس العزاء طيلة أيامه الثلاث.

لكن فتى خبيث من فتية تجمعوا يتلصصون على الأحاديث جوار

الخيمة سمع جميل يسب ملا منيف - بصوت خافت - وهو يحرك خرزات مسبحته السوداء، بعد أن سمع أن التاجر الذي فوت موعده معه كان قد اكتفى بما أشتراه من غيره من الحبوب لهذا العام، ففضح خبر سبه لملا منيف على خرزات مسبحته للناس.

مجيد الحائك نسيب المختار طه النوشي حاضراً هو وولده عثمان ليؤكد لنسيبه أنه سنداً له وعون في السراء والضراء، مع أن المختار كان يرغب برؤية برازه السائل - الذي جعله يترك الخيمة مراراً - مكوماً جواره - برائحته النتنة - على أن يرى مجيد الحائك الذي يبغضه كدم أسنانه يجلس جواره على ذات الفراش.

وغير أولائك الوجوه كان هناك حران المؤذن بعد أن أتم واجبه بقراءة القرآن طيلة أيام مجلس العزاء وختمه بخشوع على روح المرحوم. ذلك الخشوع الذي بدا عليه وهو يسمع عمران جوار خيمة العزاء كلاماً بذيء لا يقبل من عاهرة ساعة سكر، لأجل أجرته يوم حاول عمران أن يساومه فيما ما طلبه من مبلغ كبير. هذا علاوة على ما أخذه من لحم نيئ ورؤوس الذبائح والجلود باعها في جامع القرية - علانية دون خجل - على الناس.

عدوان البناء حضر ذلك اليوم متأخراً لتقديم واجب العزاء بعد أن كان غائباً عن القرية لبناء دار في إحدى القرى البعيدة. حرص عدوان على شتم ملا منيف في سره - ألف مرة - قبل أن يأتي ويفوت أجرة يوم عمل من أجل واجب العزاء.

جواد الدفان - على كره الحاضرين لتواجده بينهم - كان هناك يتذيل مجلسهم، وكانت عيون الجميع معلقة صوب جلابيته السوداء التي تذكرهم بملك الموت وعذاب القبر الأليم.

أما عمران - فهو وإن كان صاحب العزاء فعلياً - فلم يسمح له لا المختار طه النوشي ولا غيره من المتعالين من علية قوم القرية من التواجد في خيمة العزاء إلا لتهيئة الطعام وخدمة الضيوف على اعتبار أنه لقيط غريب عنهم، وإن كان زوجاً لبنت المرحوم.

مفوض مرهون دعي لوليمة خاتمة العزاء لكنه لم يحضرها بعد أن شوهد عصر ذلك اليوم على دراجة المخفر النارية قادماً من بلدة بلدروز يركب خلفه صبياً صغيراً حسن الوجه، غير ذاك الذي شاهده حسن المعلم يحقق معه بلا ملابس في مخفر الشرطة على السرير.

ربما هو واجب تحقيق جديد أنيط بمفوض المخفر الهمام؟

وقبيل أن يفرش عمران سفرة العشاء أطل في الخيمة وجه مألوف أخر! إنه حسن المعلم جاءهم يحمل خبراً تلاه عليهم قبل أن يرحل من مجلسهم دون أن يأكل معهم زاد العشاء.

يروي حسن المعلم ذاك الخبر مستفيضاً للناس:

دخلت عليهم الخيمة فشممت منهم رائحة براز عطنة.

هم قومي وأهل قريتي وأقربائي وأعرفهم. خيرهم جواد الدفان المستنكفين منه بإجلاسه عند أحذيتهم. وعمران هذا الذي يعيرونه باللقيط هو أشرف منهم حسباً ونسباً. قوم أراذل طماعين لن يسرهم

ما تلوته عليهم من وصية أوصاني بها ملا منيف قبل موته بيوم واحد.

«من فيهم خير لأقول عنه أنه خير؟»

فهذا جميل جبارة لص الدجاج والبيض يجلس متربصاً بأرض ملا منيف وسيارته الجيب، متأملاً أن تبيعه حسنة حصتها في الميراث بنصف القيمة. عجباً والله! يجلسونه اليوم في قلب مجلسهم بعد أن كان لص القرية المنبوذ قبل أعوام. لست أفتري عليه. زوجته موزر لا تأمنه على صاع تمر يحمله لها بعد أن يكون اشتراه لتجارته، فتعد عليه حباته كما يعد الراعي نعاجه ساعة يعود من المرعى.

غير إنه محق في تسميته لهذه القرية «بقرية عجب» كمأثور قول صائب يحسب له من بين ألفاظ السباب والشتم القميئة التي يدمن عليها لسانه البذيء.

«من فيهم خير لأقول عنه أنه خير؟»

وهذا أبي الذي تشاجرت معه من أجل نواره التي وقعها قبل أيام على تنازل من حصتها التي ورثتها عن عمي يوسف قبل أن يبيعها على ملا منيف – مثل جارية – بمائة دينار.

أبي لا يقل عن جميل في طمعه سوى أنه كان سيظفر بالغنيمة بلا مال يدفعه، بعد أن يجبر نواره على التوقيع له بتنازلها عن حصتها بيعاً صورياً كما فعل معها قبل أيام.

وهو لذات السبب يكره عثمان ابن مجيد الحائك زوج سروة أختي التي يرى زواجها منه على إنها صفقة تحمل المخاطرة بين كفتيها لا زواج

على سنة الله ورسوله. عثمان يرث منا أرضاً لا قالها الله، وسيحتال ألف مرة – قبل موته – منعاً لحدوث ذلك.

«من فيهم خير لأقول عنه أنه خير؟»

مجيد الحائك نسيبنا أعزه الله الذي يختلس من نسوة القرية غزلهن ويحيكه سجاجيد يبيعها عليهن رغم أنه قد حج بيت الله قبل عدة أعوام.

عثمان ولده الذي علمته ألف مرة أن لا يقسم للنسوة زوراً يوم يكتشفن سرقة والده لغزلهن. عثمان طيب القلب، وأخذ يتغير بعد أن علمته القراءة والكتابة مع ثلة من شباب القرية عند دكان عمران.

«من فيهم خير لأقول عنه أنه خير؟»

العجوز حران المؤذن وخادم جامع القرية الذي يقرأ القرآن في مجالس العزاء بالأجرة ويجبر أهل الميت على دفع أجر عالي يرهق كاهلهم بما لا يرضاه منه مسلم ولا كافر.

وجدته يفعل ذلك ويفاصل عمران الذي لم يتبقى عنده مال ولا مئونة بعد أن أطعم هؤلاء البهائم ما أكلوه من لحم ورز وثريد مجاني لثلاثة أيام.

لا أعلم لمن يدخر العجوز حران كل هذا المال الذي جمعه بعد أن جن ولده الوحيد ستار وماتت زوجته نرجس قبل أعوام. هجر داره وسكن الجامع بعد أن أخذ يستغل هيبته الدينية بين الناس، ويأمر هذا وذاك بجلب الطعام له من بيوتهم. لمن يدخر ماله لا أعلم؟

كلهم طماعين يحبون المال وهذا المختار والدي لم يسره أن يعرف

أن ملا منيف سجل نصف ما يملك باسم عمران الذي يسمونه اللقيط وائتمنه على رعاية نواره بنت عمي عنده في الدار سواء أتبين منها حمل في أحشاءها من ملا منيف أم لا.

شاط غضباً ساعة عرف أن ملا منيف قد سجل النصف الأخر بسمي بيع وشراء ليكون حصة مستترة باسم نواره بنت عمي يوسف رحمه الله حماية لها من جشع والدي الذي يعرفه جيداً يوم رفض تزويجها له إلا بعد أن وقعها على التنازل قبل أن يخرجها بعباءتها من الدار.

جاء ملا منيف إلي مساء الأربعاء لدار عثمان زوج سروة أختي وأخذني على إنفراد وحدثني طويلاً بوصيته التي عهد إلي تنفيذها دون عن غيري من أهل القرية.

أتفق معي على أن يصطحبني للبلدة يوم الخميس لأجل بيعي صورياً نصف ما يملك من أرض زراعية غربي القرية، كحصة لنواره المسكينة تكون بعهدتي حتى يقضي الله أمره فيها. فأما حمل من ملا منيف تربيه أو زيجة ثانية من بعد عدتها تعوضها عن ما فات. أما النصف الأخر وهذه السيارة الجيب سجلهما باسم عمران بالتوكيل الذي لديه منه، وأسرني على عدم كشف ذلك إلا بعد حلول أجله الذي أخبرني أنه يحس بدنوه منه على نحو وشيك.

ظننته سقيماً يحتاط لعاقبته. لم أدرك أنه نوى ختم عمره بحبل علق به سيرته بين الناس. ليغفر الله له ذنبه الكبير. لكنه كان ماكراً حتى في موته.

كان قد خطط لكل شيء ولم يترك خطوة واحدة يتعثر بها أحد من ورثته من بعده. هو يعلم جيداً إنه إن مات سترث نواره نصف ما يملك، وسيستولي والدي على حصتها بتوقيعها لتنازل يأخذه رغماً عنها، ويزوجها - بعد ذلك - لأي رجل يتقدم لها.

ذهبنا يوم الخميس وأتم كل شيء بحسب ما خطط له، وفوق ذاك كله سلمني كيس مال قال لي أنه مبلغ يكفي نواره لتعيش بكرامة حتى تموت، أودعه عندي أمانة لأصرف منه عليها.

نواره ربيبتي كأختي. طيبة القلب ومكسورة الجناح. فتحت عيني على الدنيا فوجدتها تلعب معي في الدار. عرفت أن عمي يوسف قد مات يوم ولادتها رحمه الله. عمتي رضية أمها ماتت من بعد حين وتركتها لأبي يريها النجوم في عز شمس النهار. منذ طفولتها وأبي يضربها ويشتمها لسبب ودون سبب. قليلة حظ بشكل غريب.

لكنها طيبة لا تحمل غلاً في قلبها على أحد من الناس. حتى أبي الذي أكل حقها وعاملها كأمة لا تحمل له ضغينة. لا بل وحتى حسنة التي آذتها ساعة وطأت قدمها عتبة دار ملا منيف كانت أول من خطر على بالها من بين الجميع، حين أشترت لها من السوق ثوباً جديداً وحاجيات.

ظلمتها الأيام بما لا طاقة للحجر الأصم على حمله. لكنها أصلب من الحجر في صبرها. لم أرى دموعها سوى مرات قليلة، وإن بكت ستنز دمعها بصمت وسكينة. يضربها أبي فتدخل حجرتها كنسمة ريح هادئة لا يسمع لها صوت. لم تلبس يوماً ثوباً وتفرح به مثل البنات. ثيابها كلها

أسمال ما لبسته سروة أختي من ثياب، ولم أسمعها تتذمر من ذلك يوماً من الأيام. جاء عثمان أبن مجيد الحائك لخطبتها لكن أبي رفض تزويجها له وأدار دفة الصفقة جهة سروة لأنه يعرف أن مجيد الحائك طامع في حصة عمي يوسف في أرضنا.

رفض أبي تزويجها لسليمان أبن جميل جبارة وأفتعل ذاك الشجار معهم ليمنعه من التقرب منها. لم يكن قد رتب أوراقه الزور بعد.

باعها لملا منيف العجوز لأنه يعلم علم اليقين أنه حين سيشترط عليه توقيعها على تنازلها من حصة عمي يوسف لن يمانع بذلك لقاء ظفره بفتاة جميلة وصغيرة مثل نواره.

فشيخ هرم مثل ملا منيف عليه أن يقبل بكل الشروط ليظفر بفتاة أقل ما يقال عنها أنها أزين فتيات القرية في حسنها وجمالها. حتى وجهها المجدور قليلاً لم يطفئ جذوة حسنها الأخاذ.

قلت لها يوماً ما أن هذه البثور أضفت عليك لمحة حسن مثل الشامات على الخد الأملد. خجلت وهربت مني نحو حجرتها. ميسان رزينة لم تغتر بحسنها ولم تسمح لأي من شباب القرية من التقرب منها. كانت تكبر عمرها بقرون.عشقها الكثيرين من شباب القرية لرزانتها وكياستها. سليمان أبن جميل جبارة كان أهيمهم بها.

تملقني سليمان طويلاً لأقنع أبي ليرضى تزويجها إياه. بكى أمامي مثل طفل صغير في دكان عمران في ليلة زفافها على ملا منيف. أنا لم تكن بيدي حيلة حينها. فقد تشاجرت مع والدي يومها وتركت الدار.

ولو خيرت بأمرها لزوجتها لسليمان الذي أحبها لا لشيء سوى لأنه يحبها. لم يطمع بحصة عمي يوسف أو غيره. رامها شريكة له في حياته. كان الأولى أن تتزوج بشاب مثل سليمان يقربها عمراً لا شيخاً من عمر أبيها مثل ملا منيف.

لكن أما وقد أوكلني ملا منيف بأمرها بعد أن أوصاني بها، سأعوضها عما فاتها بهذا المال بقوة الله. أحمد الله أنه مكنني أن أتم وصية الرجل في قبره وسأنفذها كما رغب بها.

١٠

حين يمر أهل القرية في أحاديثهم على الحظ العاثر وسيرته لابد أنهم سيعرجون على نواره وسيرتها قبل أن يمروا على أي سيرة غيرها.

فاليتيمة ذات العشرين ربيعاً، لم تذق طعم الفرح ولو ليوم واحد من حياتها.

حسناء جميلة رغم وجهها المجدور قليلاً. لها جسد أهيف وقوام ممشوق أغيد مثل غزالة برية. بوجه مستدير نوراني يشبه البدر التمام. عيناها ناعستان. وهي ناعمة البشرة كالبلسم.

تجلس نواره – متشحة بالسواد – يتلألأ وجهها المورد نوراً بين ثلة من نسوة القرية جئن لمواساتها بعد انتهاء مجلس العزاء. تروي لهن غمها وتندب لهن حظها العاثر وتبوح لهن بحكايات خفية.

أمي رضية رحمها الله، سمتني مريم. كانت أمي متدينة تقرأ القرآن الذي تعلمته منذ صغرها في الكتاتيب. استفتحت بالقرآن الكريم لاختيار أسم يبارك أول مولودة رزقت بها من والدي يوسف رحمه الله. رفض أبي

ذلك الاسم من فوره، وجادل أمي فيه مفتعلاً شجاراً دارى به حنقه على عدم رزقه بصبي أراده.

سماني نواره وخرج من الدار غاضباً ليقطف التمر من بستان جدي ياسين النوشي، فسقط من نخلة الزهدي العيط ومات يوم ولادتي واعتراضه على تسميتي المأخوذة من القرآن. أخبرتني أمي بذلك قبل وفاتها بأيام قليلة.

لم أخبر أحداً بما روته لي أمي حينها. تكتمت على الخبر. هي قالت أنها لم تخبر أحداً بخلافها ذاك مع والدي، وكتمته حتى عن أهل زوجها خشية أن تلام على جلبها للعنة التي قتلت ولدهم البكر زوجها.

لم أرى وجه أبي لكنني حظيت بتسمية أخرى في القرية للوجوه فيها حظ كبير. وجه النحس. أبي مات يوم ولادتي. أمي ماتت بعدوى الجدري الذي شفيت منه قبل أن ينتقل إليها ويقتلها.

وهذا وجهي المجدور يذكرني أني من تسببت بموت أمي بالعدوى ومن قبلها أبي يوم أعترض على أمر الله. وهذا زوجي شنق نفسه قبل أن أتم يومي العاشر في داره.

أنا لعنة تمشي على قدمين. قلت ذلك لحسن أبن عمي يوم أخبرني أن النحس مجرد وهم لا وجود له سوى في الأساطير. لكنه يوم جاء إلي لمواساتي لخيمة العزاء، بعد انتحار زوجي ملا منيف، ذكرته بكلامنا ذاك.

حسن طيب وشهم. تربينا معاً مثل أخوة في بيت واحد. هو مستودع

أسـراري بعد أن ماتت أمـي. ستر علي يوم اتهمني الناس بعلاقة مع سليمان ابن جميل جبارة. وقف بصفي يوم الشجار الذي حدث - قبل أشهر - بين العائلتين.

أنـا لا أنكر أني فكرت بسليمان كزوج لي. لكني لم أتكلم معه بأي حديث. هو من كان يديم ترقبي على الجادة حين أخرج من الدار لملي الماء. ذات مرة لمحه عمي المختار يترقبني هناك فحصل الشجار الخطير بالبنادق لولا حكمة حسن أبن عمي وتعقله.

أخذ سلاح عمي منه ووئد الفتنة بحكمة. رأيته كالليث يزأر بوجوه الحاضرين. ما أشجعه؟ لم يضرب سليمان رغم أنه أنتزع عصاه من يده يوم أراد سليمان ضربه بها على رأسه.

شتم أهل القرية الذين أكتفوا بالفرجة دون أن يتدخلوا لفك العراك. حضن جميل جبارة وقبله بحكمة وأعتذر منه نيابة عن عمي المختار الذي ضرب ولده سليمان بعصاه وأجرى الدم من هامته.

منذ طفولته وهو رجل حصيف. لم أره يخطأ أو يكذب. لم يفتري ولم يسرق. حتى حين كنا نلعب كان يلعب كرجل. لم أره طفلاً يوما ما. أتجه صوب الدراسة منذ طفولته وأصر على إكمالها حين كان الصبية من أقراننا يفرون من المدرسة كما يفرون من الختان.

أكمل دراسته في البلدة وأستأجر له عمي المختار غرفة في السوق. كان فتىً يافعاً حينها. وجلت عليه كثيراً هناك. كان صغيراً على أن يبيت لوحده في مكان بعيد. لكنه أصر على التعلم وأكمل دراسته بتفوق وعاد

للقرية معلماً مرموقاً تترقبه فتيات القرية بأحلامهن للزواج.

حسن زينة رجال القرية، لا بل هو زينة القرية كلها. يوم أراه أحس بأمان الدنيا كلها. فعلاوة على نبله وشهامته هو أشجع رجال القرية وأصلبهم عزيمة. قوامه الممتلئ يسد عين الشمس وطلته البهية بوجهه الصبوح كالشمس يسحر كل من يراه. حسن حلم كل فتيات القرية وأن لا ألوم حسنة على هيامها به على الإطلاق. فهو وسيم الوجه متناسق القوام، ولولا أنها محصنة عليها أن تحترم زوجها وبيتها لغفرت لها أن تفعل ما تفعله حين تراه.

فحسنة حين يمر بالقرب منها حسن أبن عمي المختار، ترتبك أنفاسها وتختلط مع ضربات قلبها كسقيمة يتلبسها الجن. لكنه لا يكلمها مع علمه بأنها تذوب حين تراه حتى لا تطمع منه بحرام. فحسن شهم وعفيف.

لم أره قط يترقب فتاة في طريق ولا حقل. هذه حسنة المسكينة ذابت في حبه كالملح في الماء. أسرتني يوماً - في بوح ماجن - أنها تتمنى أن تغفو على صدره ولو للحظة عين.

أنا نهرتها عما كان يوسوس لها شيطانها إذاك. لكن سروة بنت عمي المختار باحت لي أنها رأت حسنة تحضن حسن رغماً عنه وتتحرش به - في دارها - قبل أيام. روت لي سروة ذلك وقالت إن حسن قد صفعها على وجهها وأبعدها عنه بأن طرحها أرضاً يوم تحرشت به هناك.

سروة طردتها من البيت ولم تسمح لها من الدخول مرة أخرى. من يرفض حسنة وهي تعرض نفسها بكل أريحية وهي الجميلة اللعوب؟

لو أنها دخلت على أي شاب في القرية وفعلت معه مثل ما فعلت مع حسن ما ردها على الإطلاق.

حسن شريف وعفيف. لم يقبل أن يخون عمران. وأنا متيقنة أنها حتى لو كانت فتاة غير متزوجة ما كان حسن أن يدنسها حينذاك.

جاءني حسن بعد انتهاء مجلس العزاء وأسرني بوصية زوجي ملا منيف وأنه أستأمنه على حصتي في المال. حينها فقط تنبهت لما أخذه ملا منيف معنا لدائرة الطابو والمحكمة، وتركني وحدي في السيارة طويلاً، وحرص على أن يتكلم معه طوال الطريق للبلدة همساً في اليوم الذي سبق انتحاره.

عمران لم تتطلي عليه فكرة أن حسن المعلم قد أستأجر عمه لإيصاله لسوق بلدروز. تعجب يوم عرف بالأمر بعد عودتنا متأخرين من هناك، وأخبرني أن عمه لم يسبق أن توجه لسوق البلدة بالجيب في يوم غير الجمعة من قبل. هذا أشبه بالقانون لديه. هو أعرف بعمه الذي تبناه وزوجه من بنته الوحيدة. بقي عمران فاغراً فمه طويلاً يوم نزلنا من الجيب.

علاوة على إن حسن لا عمل له في السوق كباقي أهل القرية. عمله هنا في مدرسة القرية ولا يفارقها سوى لماماً للسوق في سيارة ملا منيف، لكن يوم الجمعة، ومع باقي الركاب، لا أن يستأجرها وحده. حتى أن مرتبه قليل وأجرة الجيب مكلفة عليه.

عدنا من الرحلة وحل الليل سريعاً كما لو كان الوقت يجري للمصيبة

مسرعا. دخل ملا منيف للحجرة ولم ينزع عنه جلابيته ولا كوفيته وعقاله. حتى إنه لم يغسل وجهه ويؤدي صلاته المتذبذبة. قال لي بعد أن تغيرت هيئته نحو ارتباك وخوف:

«هناك أمر علي أن أطلعك عليه يا نواره».

جلس على الأرض عند باب دولاب ملابسه ذي البابين وفتحه وأخرج صندوق نحاس قديم تزينه نقوش وكتابات كثيرة. أخبرني أن لا أخاف. فتح قفلاً صدئاً يقفله به بمفتاح مدسوس تحت الصندوق أخرجه من هناك وفتح غطائه. أنا لم أرى ذاك الصندوق رغم أني قضيت عشرة أيام في الدار إلا بعد أن زحزحه من مكانه في الدولاب.

رفع بدلة قال لي إنها بدلته الميري التي كان يلبسها يوم كان حارس سجون في سجن نكرة السلمان. كانت بدلة تبدو غريبة. أنا تخيلت أنها باللون الخاكي كما هو السائد من زي الشرطة والجيش لكنها كانت سوداء مع لثام من لونها. سألته عن السبب فصمت برهة وأطرق رأسه متحاشياً النظر في عيني مباشرة وقال:

«إنها بدلة مأمور إعدامات سجن نكرة السلمان».

حين نطق تلك الجملة كاد قلبي أن يخرج من صدري من شدة الخوف، لكنه حين أزاح البدلة عن حبل قنب متين رفعه من عقدته التي كانت صدئة ومقززة بشكل مريع وأتبع:

«بهذا الحبل كنت أقتل الناس وفقاً للقانون».

وقتها أحسست برغبة ملحة للتقيؤ وفعلاً فعلت بعد أن ركضت خارج

الحجرة وفعلتها قرب الباب بعد أن شممت من ذلك الحبل رائحة الموت النتنة.

سمعت ملا منيف يغلق الصندوق ويقفل القفل وأنا في مكاني قرب عتبة الباب أخرج أحشائي من شدة الرهبة والارتباك!

عدت للغرفة فوجده واضعاً رأسه بين ركبتيه ويبكي مثل طفل وينشج؛ فحاولت أن أهدئه، لكنه لم يفعل واستمر في بكائه حتى ابتلت جلابيته عند صدره. طلب مني أن أتركه يفرغ ما في قلبه من عبرة تؤلمه.

تركته برهة حتى رفع رأسه محمر العينين وأخذ يروي لي روايات طويلة عن رجال ونساء لف حبل القنب الغليظ على أعناقهم وتركهم لقدرهم المحتوم.

أخبرني أن واجبه كان مقتصراً على لف الحبل على رقاب المحكومين بالإعدام. أما واجب فتح الكوة من تحت قدمي المعدوم فكان يقوم به غيره. شرح لي كل شيء. تخيلت الأمر!

سألته مستفسرة منه عن علم زوجته سنية وبنته حسنة وعمران بالأمر وعرفت منه أنه كان يخفي عن الجميع أمره. كان يدعي في القرية أنه حارس سجون وحرص طوال عمره على مداراة ذلك حتى عن أفراد عائلته، وأنا أول من علم بهذا الأمر.

أخبرني أنه قضى سنين طويلة من عمره لا ينام كثيراً ويحلم بكوابيس مرعبة. أنا نفسي لاحظت ذلك من أول ليلة لي معه في البيت. ظننت أن ما فعلته حسنة ليلتها يوم أحرقت الحجرة كان هو السبب. فسرت الأمر

لاحقاً - يوم تكررت كوابيسه وفزعه المطرد - بأن كبر سنه هو ما يجعل الرجل يجافي النوم خلال الليل والنهار. كان كالبومة رحمه الله. لم أره يغفوا ساعة على بعضها. أسمعه يئن بكوابيسه وينتفض مرعوباً منها يردد أوهامها وعباراتها المبتورة.

أجلسني جواره وقال لي وهو يشير ناحية دار عمران:

«عمران هذا أنا من لففت الحبل حول عنق والديه».

ساعة قال لي ذلك، لم يعد في قلبي مكان للخوف حتى أختلط خوفي بدموع ذرفتها على عمران طيب القلب أراحتني كثيراً يوم بكيتها. أردت أن أستفسر منه، وقبل أن أفعل، أدار هو دفة الحديث مستفيضاً كراوية حكايات لم يسكت حتى أنهى كل الفصول:

ذات يوم جلبوا للسجن رجلاً مع زوجته يحتضنان صبياً صغيراً بعد صدور حكم بإعدامهما. الصبي كان ه عمران نفسه وكان ذلك بعد ثورة رشيد الكيلاني بأيام.

ما إن رأيت ذلك المشهد حتى توجهت لمديري راكضاً وسألته للمرة الأولى عن مصير الصبي الذي كان معهما. لم أسأل يوماً ما عن ضحية لففت حبلي حول عنقها. لكني مع عمران ووالديه فعلت. فأخبرني المدير أن الرجل وزوجته التمساه في أن يبقى الصبي عندهما حتى يحين موعد شنقهما. لم يكن له بقية أهل يعتنون به. هذا ما فهمته من مدير السجن. بقي في السجن بضعة أيام وجاء أمر الإعدام!

أول مرة أحسست بالرهبة. لففت هذا الحبل الذي شاهدتيه على

رقاب كثيرة ولم أشعر بمثل ذلك الخوف حين لففته حول عنقي والدا عمران.

ساعتها رأيت عينا الصبي تكاد تخرج من محاجرها لتأكلني حين شاهدني أجر والديه من عنده نحو الموت. وأنا أتأمل الطفل البريء وهو يودع والديه ساعة أخذتهما من عنده لحجرة الإعدام كنت قد اتخذت قراري بتبنيه.

بعد أن شنقتهما تقدمت بطلب تبني لعمران على الفور قوبل بالموافقة من مسئولي السجن؛ رأفة بحال المسكين الذي لم يتبق له أحد يعيله بعد فقدانه لأبويه.

بعد أيام قليلة عدت للقرية مصطحباً إياه، بعد أن طلبت إحالتي على التقاعد واشتريت هذه السيارة بمكافئة نهاية الخدمة وصرت أنقل أهل القرية بها لسوق بلدروز بالأجرة لأكسب رزقي وأشغل نفسي عن جرائمي الماضية.

عام بعد عام كبر عمران كولد لي وصار فتى فزوجته من حسنة ابنتي. لكن شعوري بالذنب تجاهه كبر مع مرور الأيام. لم يعرفني عمران بالتأكيد وأنا أجر والديه لحتفهما؛ كنت ملثماً حينها بهذا اللثام الأسود. لكن عمران يتذكر كل شيء. طالما سألني عن والديه. قال لي إنه يتذكر أنه كان له بيت وعائلة! أنا لا أدير معه حوارات كثيرة بهذا الخصوص. أشعر بأني أرتبك يوم يذكر عمران والديه. لذا فأنا أغير أي موضوع وأي حوار يبدؤه عمران عن ماضيه.

أنا لم أكن مجرماً. كنت أنفذ أحكاماً باتة بالإعدام صادرة من محاكم مختصة. عادلة كانت تلك الأحكام أم جائرة، لم أكن أنا من أصدرها. لكني لم أغلب هذا الجانب. فكرت ملياً وقررت إدانة نفسي بنفسي. الموت قصاص هذا في كتاب الله. ولي الدم أولى به للقصاص من غيره. ليس حبل ألفه على أعناق المجرمين. لذا فقد تركت الصلاة وبت أتعثر في أدائها. فمن يصلي عليه أن يكون مقتنعاً بأنه كفؤ لأن يؤديها. ما نفع صلاتي وأنا متلطخ بدم ضحاياي؟ أصلي يوماً وأتذبذب عشراً.

أهل المقتول أولى بالقصاص ممن قتله من حبلي هذا.

بهذا رجحت جانب الإجرام وبقيت معلقاً بحبلي دون أن ألفه على عنقي. تعذبت طويلاً. وأريد أن أريح نفسي ببوحي لك بسري هذا. أريد منك يا نواره أن تخبري الجميع بما بحت لك به إن حل أجلي.

«أنا يا نواره لا أجرؤ على مصارحة عمران بالأمر لكني أريد ذلك بإلحاح لكي أرتاح».

هذه أخر جملة سمعتها من زوجي ملا منيف قبل أن يخرج من الحجرة مدعياً انه سيهيئ الجيب ويديمها للرحلة كالمعتاد.

خرج من الحجرة وعاد إليها متأخراً ونام. رأيته يضبط منبه ساعته على موعد الرحلة فشعرت بالاطمئنان. تعب رحلة السوق أخذني نحو نوم عميق ما صحوت منه إلا على طرق عمران العنيف على الباب فجر ذلك اليوم.

١١

ما أن رفعت خيمة العزاء حتى نصب أهل القرية خيم أخرى للنميمة والنفاق. عادت القرية لرتابتها ونمط عيشها الكئيب. تخلو أزقتها من المارة ليلاً لتعود وتضج بهم بعد أن تشرق شمس النهار. ولا شيء متغير فيها على المدى الطويل. القمح يانع في حقوله يسير نحو طرح سنبله، والبهائم تنعم بخير دافئة في زرائبها. وأهل القرية حول مواقد الجمر يشربون الشاي الساخن ويتنادمون الحكايات.

الروز يجري ماءه كعهده منساباً بين قراه كثعبان أسطوري عظيم وتنساب مع ماءه الحكايات حاملة معها للقاطنين حوله من القرى الأخرى ما حل بقرية إمام عسكر من موت مفزع فجر ذلك اليوم.

الحكايات تصحو وتنام على ذكر حادثة انتحار ملا منيف، ألهبتها نواره يوم باحت لعمران وغيره من أهل القرية بما أسرها به ملا منيف.

فنواره رغم طبعها الكتوم للأسرار، وغموضها منقطع النظير في قرية لا يخفى بها البئر ومن حفره عن الناس، لكنها باحت بما أسرها به زوجها

قبيل موته لأنها فهمت أن زوجها يوم أخبرها كان يرغب بالاعتراف.

نـواره حين أخبرت عمران بالحكاية صمت برهة ولم ينبس بكلمة واحدة، وأبدا عدم الاكتراث للخبر ولم ينطق بشيء.

يعرف أهل القرية أن عمران طيب القلب متسامح مع الجميع في كل شيء. فلن يضيره إن كان ملا منيف هو من أعدم والديه أم غيره. المهم عنده هو أنه قد رباه وكبره وزوجه من أبنته دون أن يتكلف بمهر ولا جهاز.

إن لم يلف ملا منيف الحبل حول عنق والديه ذاك اليوم، كان سيلفه أحدهم غيره. الدولة لن تقف على تنصل موظف ما عن عمله حتى لو كان زعيمها نفسه. لذا فهو قد تبسم بوجهها وترحم على روح عمه ملا منيف وانزوى لداره المجاورة وسط دهشة نواره من ردة فعله غير المبالية.

برحابة صدر تقبل عمران الخبر منها كأنه يسمع نكته. حتى إنه نهض نحو عمله ليكمله دون أن يستفسر عن التفاصيل. دلف لزريبة أبقاره وباشر بخدمتها قبل أن يفتح دكانه للناس عصراً كالعادة.

للأبقار قدسية وهيبة في القرية، وتبجيل خاص لها من قبل مالكيها. يعاملونها كأنها أولادهـم، ولا يؤخرهم عن خدمتها أي انشغال. فحين يأتي وقت علفها وموعد حلبها ستجد أهل القرية يهرعون للزرائب كما تهرع الأم الحانية على أولادها لإطعامهم.

جميل جبارة حين سمع بردة فعل عمران الباردة تلك صرح متكئاً على مصائب الآخرين كديدنه ليروي داء النميمة المتلبس به لاسيما حين يمر درب تلك النميمة من أمام بيت جاره ملا منيف وعياله:

«أقسم أن عمران لقيط، ليس من ظهر أبيه، حتى إنه ليس أبن أمه، ولم تحمله في كرشها. حسنة كانت محقة حين لقبته باللقيط، وإلا فأن جاموسة كانت لتنتفض على جزار ذبح أمها»

غير إن جميل البار بجاره لم ينسى - حين يعرج على مصيبة بيت ملا منيف وما حل بهم - من الإكثار من سبه للرجل ولعنه في قبره الذي لم تجف تربته بعد منذ أن فاته موعده مع تاجر بغداد.

حتى أن أهل القرية حين يرونه يحرك حبات مسبحته السوداء - ذات الحبات الناعمة المائة وواحد حبة - بين أصابعه يتبادر لأذهانهم أنه يسب ملا منيف مع كل حبة يزيحها للتي يليها بعد أن فضح الفتى الخبيث خبره بين الناس.

حسنة يوم عرفت بالخبر وجدت فيه سبباً للعراك مع غريمتها اللدود نوراه متهمة إياها بالافتراء على والدها في قبره، نافية الخبر للناس. حسنة ومنذ أن أوصى والدها حسن المعلم بزوجته نواره أخذت تسبه حالها حال الأغراب من بعض أهل القرية لأنها تغار على حسن من نواره بعد أن ترملت وأصبحت خالية الذمة للزواج.

طه النوشي المختار يوم سمع الخبر لملم جناحه الكسير بعد أن أفلس من صفقة زواج نوراه من ملا منيف وأخذ يرمي صنارته في ماء المصيبة العكر عله يعيد كفة الموازين لوفاضه الخالي من الغنيمة.

فبعد أن كان مختار القرية لا يطيق النظر لعمران ودكانه بحيث أنه طوال أعوام خلت لم يره أحد من أهلها يشتري ولو عود كبريت من الدكان

تحول ليكون من زبائنه المعتبرين وواحد من المواظبين على الجلوس على دكة الطين التي تجاوره ليل نهار.

وهو حين يجلس هناك لا يألوا جهداً من صب الزيت على النار حين كان يحاول أن يحرض عمران على زوجته حسنة، ممنياً النفس في أن ينفذ عمران وعده القديم في طلاق زوجته والرحيل عن القرية. حينها سيعرض على عمران أي ثمن يطلبه في حصته من أرض ملا منيف ليعود من الغنيمة ولو بنصف ما فاته منها.

حران المؤذن ما أن سمع بالخبر حتى عجل بالمرور بعمران في دكانه ذاك المساء وأخذ يعضه موعظة حسنة من كتاب الله معرجاً على أحكام القصاص والبر بالوالدين بشكل مسهب ومستفيض، ليزرع فتنة شعواء في قلب الرجل الصبور، ليرضي رغبة النفاق التي تملأ قلبه غير آبه - إن لم يكن يتمناه - لما قد ينتج عن ذاك التحريض من خراب للبيوت.

العجوز حنونة البدوية حين مرها الخبر لوت طرف الحكاية نحو دهشة مفتعلة، غير أن أهل القرية متيقنين أن أحجراها كانت قد نبأتها بما دار في طيات الزمن القديم من قبل وأحسنت - بمكر - كتمانه عن الناس.

سميرة بنتها تبسمت ساعة رأت أمها تتقن دور المندهشة بالأخبار!

حمل عمران أكوام من النفاق ورماها من على ظهره نحو نهر الروز القريب، الذي أعتاد المهمومين من أهل القرية أن يرموا إليه همومهم ونأى جانب عمله ليشغل نفسه.

لكن أمطاراً غزيرة واصلت الليل بالنهار لثلاثة أيام أشغلت أهل القرية لهم أخر صرفهم عن أي نميمة وتحريض.

نبوءة العجوز حنونة البدوية حول الطوفان الوشيك أخذت تلوح بوادرها في أفق القرية ذات الأرض الغوط عما يجاورها. فقرية إمام عسكر - وبعد أن يشطرها نهر الروز بمجراه الواسع لنصفين - تأخذ أرضها بالانخفاض عما يجاورها من القرى على نحو جعلها عرضة لفيضانات عديدة في عهود غابرة طغى فيها ماء الروز نحو بيوت الناس.

فأهل القرية حين شاهدوا ماء النهر عكراً يهدر حاملاً معه شجيرات الصفصاف بعد أن أقتلعها في طريقه يوم ارتفعت مناسيبه، وطفق يطفح ماءه نحو بيوتهم نسوا الحكايات واتجهوا نحو درأ غضب النهر الهائج وخطره الوشيك بهم.

١٢

بعد أن انقشعت السحب الداكنة التي خيمت - لأيام طوال - على سماء القرية بعد أن صبت وابل مطر غزير لم يسبق لأي من أهل القرية أن شهد له مثيل طوال أعوام، أخذت بوادر نبوءة العجوز البدوية عن الطوفان تبدو جلية للعيان.

فنهر الروز بعد أن طغى بمائه نحو البيوت المحتضنة لمجراه المتلوي بالقرب منها، أنشغل أهل القرية طوال أيام على حجب ماء النهر عن دورهم ودرأ خطره برصف جوالات التراب على جانبيه، على شكل جماعات.

حنونة البدوية أشارت على وجهاء القرية وغيرهم من القرى المجاورة لإمام عسكر من ضرورة إجلاء النساء والأطفال وكبار السن نحو قرى الشمال، التي هي - بحكم ارتفاع أرضها - في منأى عن طغيان ما النهر عليها، قبل فوات الأوان.

الناس يوم تحققت نبوءة العجوز بالفيضان لم يخالفوا لها رأيها

وانصاعوا لأمرها بنقل النسوة والأطفال ومواشيهم على شكل قوافل نحو قرى آغجا وسبتة والعالي المتربعات على أرض ربوة عند أعلى نهر الروز.

عمران أدار محرك الجيب وقادها على الجادة الترابية لأول مرة وساهم بنقل الناس بالمجان نحو موطن لجوئهم من الفيضان.

الرجال والشباب مكثوا في القرية لصنع السدة الترابية بأكياس التراب في مسعى حثيث واصلوا فيه الليل بالنهار بلا هوادة وهم يهزجون، على مدى أسبوع كامل لدرء خطر النهر الجبار.

لكن مسعى أهل القرى لم يفلح في دفع النهر عن بطشه بقراهم ومزارعهم يوم أغرق النهر ما حوله في غضون ساعات. لم يسلم من القرية غير مرقد الإمام عسكر (عليه السلام) في مكانه العالي أعلى تل يتوسط القرية.

كان مشهد تجبر ماء النهر وطغيانه على البيوت والمزارع مأساوياً حين غمر براح القرية وما يجاورها من حقول، حتى أنه قد وصل لجذوع سقوف الأكواخ الطينية، فأخذت تنهار جدرانها وتهوي نحو الماء.

الماء غمر حقول القمح وأتلفها عن بكرة أبيها وقتل الكثير من المواشي التي لم يفلح أهلها في إجلائها نحو قرى الشمال. كما وقد قتل بعض من سكان القرية ممن لم يفلحوا في الجلاء من القرية قبل الكارثة.

جميل جبارة كان أكثر المتضررين والمستفيدين من الفيضان في الوقت ذاته!

فهو وإن غرق مخزن حبوبه الممتلئ عن أخره بما جمعه من الناس

على مدى عام مضى بعد أن خزنه، ولم يبيعه للتجار في بلدروز متأملاً تاجر بغداد الذي فاته الموعد معه يوم مات ملا منيف، فهو قد ربح صفقة أخرى كان يترقبها على مدى أعوام طوال.

فزوجته البخيلة موزر التي يبغضها لم تحتمل الصدمة فماتت في ذات اليوم الذي عادت به للقرية وشاهدت بعينها ما حل بمخزن الحبوب من دمار.

عاد جميل للقرية وشيد داره وعمر مخزن الحبوب المجاور لها من جديد، بوجه ملؤه الأمل، رغم ما حل بتجارته من تلف. بعد شهور قلائل تزوج من ريمة بنت مجيد الحائك، وأخرج أموالاً سرقها من زوجته موزر في غفلتها كان قد أستودعها لدى تاجر في بلدروز، وعاد يترقب موسم الرز ليشتري من الناس محصولهم بعد أن فاته قمحهم الذي أتلفه الفيضان.

عاد ماء النهر أدراجه لحوضه تاركاً بيوت أهل القرى المجاورة له لأهلها يعمرونها، ويسمعونه - حين يمرون بالقرب منه - كلام عتب على الخراب، كأنه يفقه ما يقولون.

فبعد أن لملم الشتاء عباءته ورحل عن القرية عاد الروز لعهده حنوناً معهم بعد أن تراجع عن غضبته مفسحاً المجال لشمس الربيع - بعد أن حل - لتجفف الأرض الموحلة لكن الخراب كان لا يطاق.

حلقت في سماء القرية طيور الخشاف والقطا من جديد معلنة قدوم الربيع الحنون بطقسه المعتدل وخيره الوفير من مزروعات ليعوض الناس

قمحهم الذي فقدوه.

الناس عادوا يعمرون أكواخهم الطينية بدأب، ويتعاونون فيما بينهم على شكل زمر تعرف بـ «الفزعات» لملموا أطراف الخراب وأعادوا للقرية أملها في الحياة.

عاد حسن المعلم مع من عاد من أهل القرية يعمر بناية المدرسة - التي لم تتضرر كثيراً - مع ثلة من الناس من أهل القرية كأول بناء قام في القرية بعد الخراب.

حنونة البدوية رفضت طلب بنتها العانس سميرة في أن تغادر القرية مع من لجئوا نحو قرى الشمال، وآلت على نفسها المكوث في دارها المجاورة للمرقد الشريف. لم تجادلها بنتها العارفة بعناد أمها محترمة رغبتها وقدرها المحتوم.

عثرت سميرة التي أخذ الناس يلقبونها بالبدوية كأمها - بعد عودتها مع غيرها من الناس للقرية - على جثة أمها متفسخة في الدار بعد أن تهدمت عليها جراء الفيضان.

يقال أنها سلمت صرة أحجارها الملونة لبنتها سميرة وأركبتها على الناقة البيضاء وودعتها وداع مفارق يوم أصرت على البقاء. لم تكن تهذي حين تنبأت بكل هذا الخراب. نبوءة واحدة تحققت وغيرها عشرات مما تنبأت به العجوز الماكرة يصطف بالدور وراء الزمن متربصاً أن يحين الوقت للتجلي على الناس.

يقال أن العجوز حنونة البدوية عند خروجها من خاتمة مجلس عزاء

ملا منيف في عتمة الليل كانت تهذي بموت غزير سيعقب هذا العزاء. وفعلاً كما تنبأت العجوز تحقق الموت للكثيرين بعد الطوفان وكانت هي نفسها من بين الذين ماتوا خلال الفيضان.

موزر زوجة جميل جبارة ماتت هي الأخرى بعد عودتها مباشرة يوم شاهدت ما حل بتجارتها ومخزن حبوبها من دمار. لم تحتمل بخيلة مثلها أن ترى عشرات الأطنان من الحنطة والشعير التي تملك نصفها وقد نبتت في جوالاتها بعد أن غمر مخزنها الماء.

المختار طه النوشي مات من البرد والتعب خلال الرحلة الشاقة لأهل القرية نحو قرى الشمال.

مجيد الحائك أصيب بالسل بعد أن مكث أيام الجلاء في العراء بلا دفئ ولا سقف في عز برد شباط، ومات بعد أسبوع واحد من عودة الناس للقرية ولم ينصب له مجلس عزاء.

حران المؤذن لم يجله الناس معهم نحو القرى الآمنة لبغضهم له فمات غرقاً، وقيل أنه لم يعثر له على جثمان.

وكذا ولده المخبول ستار الذي هرب ممن حاولوا أجبارة على السير معهم نحو قرى الشمال، ولم يعثر أحد من أهل القرية عليه يوم عادوا من هناك. يقال أنه تكلم وهذى مع طيف زوجته مروة وأخبر الناس أنها عادت من النهر لتأخذه معها، وإنه يتوجب عليه البقاء.

مفوض مرهون مات في مخفر القرية بعد أن تهدمت عليه بنايته حين طغى ماء النهر على القرية وعثر الناس - حين عادوا للقرية - على جثته

متفسخة تحت الأنقاض.

فهي القرية التي يتناسل فيها الموت بشكل عجيب!

عادت سميرة البدوية لدار أمها وعمرتها لتحرك أحجارها - التي أورثتها أمها إياها وسرها الغامض عن الناس - بين أناملها لتكشف المستور من الغيب لمن يطلبه من الناس.

عمران عاد للقرية يقود سيارته الجيب رفقة زوجته حسنة التي تعقلت معه وأخذت تعامله بلطف - وبشكل ملحوظ - بعد الفيضان. شيد عمران داراً واسعة على أنقاض دار عمه ملا منيف تكفيه وزوجة عمه نواره، وأعاد بناء دكانه وفتحه لأهل القرية من جديد.

تفاجأ أهل القرية يوم رأوا زوجته حسنة تحمل الطين على كتفها لتعاون زوجها لتشيد معه الدار. نواره ببطنها التي نتأت عن قامتها بعد أن تبين حملها من ملا منيف ساعدت عمران وحسنة في تعمير الدار.

حسنة ونواره تقاربتا صديقتين من جديد.

بعد أيام أعلن عمران لأهل القرية عن نيته البدء بنقل أهل القرية للسوق بالجيب في رحلات يوم الجمعة من جديد.

خرج عمران من داره في أول رحلة نحو سوق بلدروز بعد أن حجز مقاعد سيارته أربعة نفر من أهلها، أركبهم معه - فجر يوم جمعة - وأنطلق يقودها من القرية على الجادة الترابية المحاذية لنهر الروز نحو السوق.

لملم أهل القرية نميمتهم عن الحكايات القديمة، وأقفلوا الباب على

الضغينة بينهم بعد بأس الله بهم وعقابه الشديد.

لكن! لا جديد يذكر في القرية على المدى الطويل.

فالحياة رتيبة في القرية، لا تنفك جامدة سوى من شمس تشرق وتغيب.

عاد نهر الروز ليجري صامتاً كعهده بين القرى المطلة عليه.

الأبقار ما برحت مقدسة عند أصحابها حد التبجيل.

الجهل يتسلل بقوة نحو العقول، والمرض ينهش الأجساد.

لا يزال الموت يأتي لأهل القرية حاملاً لهم موتاً آخر بين ثناياه.

النبوءات مستمرة. أهل القرية يترقبون القادم منها، وأحجار البدوية الملونة لا زالت تجلجل هناك.

(النهاية)

المؤلف في سطور :

حسام خوام آل يحيى:

- روائـي وقـاص عـراقـي مـن مـواليـد بغـداد ١٩٧٧ حاصل على شهادة البكالوريوس في القانون، صدر له:

«**هولاكو عاد إلى بغداد**» مجموعة قصصية/ منشورات دار الفرات للطباعة والنشر عام ٢٠١٥.

- يكتب - ومنذ العام ٢٠٠٣ - المقال السياسي في العديد من الصحف المحلية والعربية وهو عضو مؤسسة النور للثقافة والتي مقرها السويد.

البريد الالكتروني للمؤلف: hussamhussam763@yahoo.com